رسائل روح

عنـوان الكتـاب: رسـائل روح
التـأليـف: رحمـة يـس
مراجعة وإخراج فني: عمـرو وسـالم سـواح
تصـميم الغـلاف: باسـم مـدحت
رقـم الإيـداع: 2019/ 17401
الترقيم الـدولي: 978-977-6639-59-1
الناشـر: دار تويتة للنشر والتوزيع
www.facebook.com/Tweetforpublish
tweetpublishing2017@gmail.com
٧ش محمد أبوالعطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة
رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز
المدير العام: أ/ رشا العمري
01017799799
01225762066

تويتة
Tweeta
للنشر و التوزيع

#غرّد_للعالم

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

رسائل روح

رحمة يس

رسالة رُوح

"رسائل ستصل.. وأخرى لم تصل بعد"

إهداء خاص

لكل من لم يؤمن بقلمي..

لكل من آمن بي، ولم يعد على قيد حياتي..

ها أنا ذا في سطور..

البداية

كنت أظن دائمًا أن الرسالة الأولى تكون سهلة الكتابة، بسيطة كبساطة سماء صافية، ممتعة كنسيم هواء في يوم حار، جميلة كتَفتُّح أزهار الربيع، تُريح النفس كهطول المطر، تذيب الرُّوح كرائحة الشوارع والميادين بعد المطر..

لكنني وجَدْتُ البساطة تعقدت، المتعة امتزجت بالغموض، جمال الأزهار اكتسى بحُمرة الخجل منك، راحة النفس أصبحت معك والروح ذهبت إليك..

رسالتي الأولى قد تبدو مبهمة؛ إلا أنكَ ستقرأ ما بين أسطرها من رسائل مختبئة ممزوجة بمشاعر مكنونة داخلك..

بدأت منذ أعوام..

والآن سأكمل رسالتي.. إلى ما تبقَّى من الحياة!

"روح"

" عزيزي "

(١)

إليك عزيزي إن كنت تقرأ..

مرت فترة طويلة على كتابة الرسائل، هواية اكتسبتها منذ أعوام حتى صارت عادة يومية لا أستطيع التخلي عنها..

لكنها تخلت عني منذ أشهر عديدة.. كما تخلى عني أقرب المقربين...

أشياء وأشياء حدثت، ومع كل حدث كنت أفقد جزءًا مني، حتى صرت أعتقد أنه لم يتبقَّ مني سوى ما يجعلني أتنفس لأبقى على قيد الحياة.

أُحاول إعادة لَمّ شمل أشلاء قلبي المنهار، ما زلت أبالغ في رسم الضحكات أحيانًا، وأحيانًا أخرى أترك الحزن يجد طريقه إلى عينيّ دون مقاومة..

غالبًا ما تؤثّر فينا كلمات البعض _ خاصة المقربين _ كطلقات رصاص طائشة تجاوزت كل الحواجز لتخترق قلبك مباشرة تصيبه في مَقتل..

وقد تتصدى ابتسامة عابرة، أو دعم أحدهم، أو لحظة إنصات مخصصة لك لم تكن على بال.. لتلك الرصاصات كسد منيع يواجه فيضانا هائجا ! الحياة..

تلك المتاهة العجيبة التي تأخذ منك أكثر مما تعطيك، ترغمك على فعل أشياء لم تكن في الحسبان، تضغط على جراح قلبك لتجعله في نزيف مستمر لا أمل لشفائه.. وبشكل مختلف كل مرة عن سابقتها حتى لا تأخذ احتياط الحذر من الألم، فيكون مضاعفًا بغزارة .

الحياة التي أجبرتني أن أقضي وقتًا مُريعًا وأنا أحاول أن أتخلص من الماضي وآلامه، لكنني لست متأكدة أنني قادرة على فعل ذلك

أعتقد أنه سيتخلص مني أولًا...

أنا لستُ حزينة، أنا فقط أتألم في صمت، أبكي دون دموع، أحاول جاهدة أن أبدو في أزهى حالاتي جمالًا ورونقًا، لذا أبالغ أحيانًا في تكحيل عيني أو أحمر شفاهي، في صخب ضحكتي أو ثرثرة أحاديثي، لكن في قرارة نفسي أعلم أنها محاولات زائفة.. تفشل دائمًا؛ فسجلي حافل بالقرارات الخاطئة والعواقب الوخيمة .

أشعر بفيض من المشاعر المتذبذبة المتناقضة، المتسارعة والمتصارعة، أحاول ترتيبها وترجمتها حتى أستطيع فهم نفسي؛ ولكن...

ما زال الألم يعتصرني، والحزن يعتريني، ولكن القوة ما زالت على قيد الوجود، ستُرَبِّت على كتفي وتحنو على روحي لأواجه ما هو قادم؛ كما تخطيت ما مضى..!

(٢)

عزيزي البعيد جدًّا.

كيفك أنتَ؟

كيف حالك بعد كل ما حدث؟

الثورة انقضت.. الحرب انتهت.. النيران خمدت.. الموتى سكنوا التراب.. الأحياء سكنوا الظلام.. وأنت ما زلت ساكني وساكن قلبي!

أخبرتك كثيرًا أن لحظة الاختيار آتية عاجلًا أو آجلًا.. خيروك بيني وبينهم.. خذلتني وانضممت لهم !

خيبة أمل أصابتني كخيبة أمل أصابت وطنًا بعد استسلام آخِر مُقاتل في جيش المقاومة ضد الاحتلال، أو كعتمة سوداء انتشرت بعد كلمة النهاية على الشاشة، أو أقرب لخيبةٍ تشبه خيبة كاتب نفِد حبر قلمه في الأسطر الأخيرة ففشِل في كتابة النهاية السعيدة !!

أعتقد أن صدمتي أعظم، فأنت وطني ومُقاتلي وقصة حياتي وروايتي وقلمي..

وها أنا خسرت الحرب والثورة والقلم وأنت..

وتبقَّت نفسي !

(٣)

عزيزي العزيز جدًّا والحاضر دائمًا مهما غاب..

تحية طيبة محملة بأشواق وحنين يغمرني دائمًا.. لن أقول كلما تذكرتك، فأنا لا أنسى كي أتذكر..!

أخبرني صديق ذات يوم: "نحن لا ننسى من كانوا سببًا في رسم ابتسامتنا، فكيف ننسى من أبكونا؟"

وأنتَ سبب ضحكتي وحزني أيها العزيز جدًّا..

روحي ما زالت تشتاق إليك، لكنك مضيت وكأنما أعجبك الفراق، تركتني وما بيننا للنار وللاحتراق.... وكأن رحيلك عجَّل بقدوم الشتاء، ونشر الحزن في كل مكان..

تأبى أمطار السماء الهطول رغم البكاء، الشمس حاضرة إلا أن سطوعها غائب، النهر يسير في هدوء كأنه في موكب عزاء، النهار فقدَ زهوته، الليل فقدَ رونقه، غابت النجوم وكأن القمر رغم الاكتمال لا يضيء السماء لتظهر أرملة متوشحة بالسواد ترثي عزيزها الراحل..

كنت أظن أنني سأمضي في طريقٍ معاكسٍ لدربك حتى لا نلتقي من جديد، لكن ها أنا ذا في المنتصف من كل شيء، لا أفعل شيئًا، لا أنتظر شيئًا، أقف و كل شيء حولي يسير أمامي وأنا منتظر مكاني.. وخاب ظني.

أخبروني أن بعد خيْبَتِي سيظهر قمر مضيء، لكن لا شيء سوى ظلام غيابك..

يقتلني ألَّا حول لي ولا حيلة سوى اشتياقي لك يا...

"سبب ضحكي وبكائي"

(٤)

عزيزي العزيز جدًّا..

تحية سلام من أجل السلام والدفء النفسي..

أكتب إليك خطابا لا أعلم متى ستقرؤه، فأنا لا أعرف من أنت أو أين أنت أو متى ستأتي، لا أعرف هل سنتقابل في هذه الحياة أم ستجمعنا حياة أخرى!

لكني أعرف جيدا أنني خائفة، وأخاف الاعتراف بأنني خائفة..

أمتلك يقينا عميقا داخل ذاتي أني سأراك يوما؛ لكن تنتابني قشعريرة الرعب من ذلك اللقاء..

فأنا مؤذية للحد الذي لا تتخيله، لا تدري ماذا تفعل الوحدة والألم والفراق في الروح، تصاب بشروخ بليغة قد لا يشفيها دواء ولا يداويها أي علاج..

سأتمنى وجودك في حياتي، وعندما تأتي ستختنق باهتمامي الحاد، وملاحظتي الدقيقة للتفاصيل ستُرعُبك، سيفصل هاتفك المحمول من كثرة رسائلي التي قد تكون بلا سبب أو هدف أحيانًا كثيرة، ستضطرب مواعيد نومك بسبب اتصالاتي التافهة بعد منتصف الليل لتسمع صوتي باكية بأنني جائعة ولا أجد طعامي المفضل في الثلاجة، أو أن معاد "أنوثتي" حان وأنا أبكي ألمًا، وقد أبكي بدون أدنى سبب سوى أن أشعر بأنك جانبي حتى أغفو في النوم مجددًا، سأتطلب منك اهتماما قد لا تقدر عليه بسبب

مسؤولياتك الكثيرة، ستجدني أشكو كلما شعرت أن لهفة اللقاء خمدت في عينيك، ودفء سلام يديك صار باردًا، وشغفك أن أسرد حكاياتي لتتأمل تفاصيل وجهي وانفعالاتي لتبتسم شاردا مما أقول..

أعلم أنني مؤذية وسأكون عبئًا ثقيلا لن تتحمله، قد ترى رسالتي تافهة.. ولكن إن لم تجدها كذلك فلتعلم إذن أنني سأنتظرك حتى ألقاك..

وحتى يحين اللقاء..

سلامٌ إليك يُعجِل اللقاء ويزرع الحب والأمان في القلوب.

(٥)

عزيزي العزيز جدًّا والحبيب دائمًا والغائب إلى الأبد..

بعد الفِقدان الأول تسخر من فكرة البقاء الأبدي، تؤمن أن وجود أي شخص في حياتك هو وجود مؤقت، تصير فكرة أنك لست شخصا ملائما أو تستحق البقاء معك للأبد هي المسيطرة، فأنت رحلت وعانيت كثيرًا من فقدانك، صرت أشعر أنني دائما لست كافية ولا ملائمة، رغم شعوري معك بالاكتمال إلا أني اكتملت بك وحدك..

أقفُ الآن على حافةِ حدودِك، لا أنت لي فأهدأ، ولا أنا لك فيطمئن قلبي، ولا أنا لغيرك فأتوقف عن التفكير بِك، ولا أنت هُنا فيتوقف شوقي إليك..

لم أظن يومًا أنك ستفارقني، ولكن الفقد له رأي آخر، أراد أن يُعلمني أن لا أحد دائم ولن يبقى معي أحد..

رحلت أنت ورحل الجميع وبقِيت أنا وحدي !

(٦)

إلى عزيزي..

عيد الميلاد يقترب والاحتفالات تعم المكان، وأنا أنطوى عن العالم وأنزوي على ذاتي..

الجميع يحتفل مع أحبائه، وأنا لا أحباء لي..

طلب مني طبيبي النفسي أن أعيد شريط حياتي، وأتذكر من أحببت يوما ما..

أمممم....

حسنًا.. سأحاول

الحبيب الأول في عمر المراهقة...

استمرت علاقتنا أربع سنوات، كنت أشعر بأنه الأب والحبيب والصديق، حتى فوجئت بقرار رحيله. وبعدها ترك البلاد ومع زوجته.. نعم، لقد تزوج أخرى من اختيار والدته، تلك التي يسمونها "القطة المغمضة"!!

تبًّا له ولقطته تلك..

الحبيب الثاني بعد عامي الأول من الجامعة..

لم تدم علاقتنا طويلا، فكان هناك أشهر قليلة بين التعارف وقرار الانتقال إلى الخطوة التالية لجعل علاقتنا رسمية، لكن والده كان له رأي آخر، رفض اكتمال خِطبتنا قبل أن تبدأ حتى، فرحل ليتزوج أخرى من اختيار والده وتنجب طفلًا يحمل اسم الجد لنيل رضاه !

يا لهم من أوغاد..

الحبيب الثالث كان نزوة لها تأثير أكثر مما مضى..

خمسة أشهر كانت فترة تلك العلاقة، مرحلة جديدة محت ما قبلها ودمرت كل ما هو آت، نتج عنها شروخ لا تشفى وجروح ليس لها دواء، كان فتيلة الاشتعال لاحتراق ما تبقى من مشاعر...

ما تبقى مني!

الحبيب الـ.. أمممممم، لقد توقفت عن العد منذ زمن!

فجميعهم متشابهون رغم الاختلاف.... يريدون السيطرة.... يكرهون النقاش بحجة أنه جدال عقيم، يرون المطالبة بالحقوق وبعض الحرية والمساواة تمرد، لا جدوى من الحديث، لا جدوى من النقاش، لا جدوى من الانتظار.

أعلم كيف تراني.. وكأنني اخترت ذلك الطريق بإرادتي.

حينما تشعر بالفقد والاحتياج ستفعل كل ما يُشبع ذلك الشعور، حتى تجد ذاتك غارقة في الفشل، وتخشى الوقوع في الحب أو التفكير فيه!

(٧)

عزيزي..

منذ اثني عشر عامًا شعرت بالحب لأول مرة، لم أعِ ذلك وقتها، ولم يتبقَّ لي من قصة الحب تلك سوى ذكرى محفورة داخل قلبي..

في عمر العشرين..

أحببت رجُلا للمرة الأولى .... تبادلنا الحب لعامين، ومن ثَم تركنى ورحل دون سبب واضح، لم أفهم في بادئ الأمر، كيف لك أن تحب شخصًا وتقضي معه أغلب لحظاتك وتراه أمانك في الحياة. ومن ثَم هكذا بكل بساطة يتركك ويذهب تاركًا وراءه ألمًا ووجعًا لا يُغتفر، وأسئلة لا إجابات لها..

في الليلة التى قرر فيها الرحيل، كنا نتحدث بالرسائل وأخبرني أن كل شيء انتهى، لبضع دقائق لم أجد كلمات أرسلها، أحاول استيعاب أن حب سنوات ينتهي هكذا في بضع دقائق استغرقته مجرد رسالة تافهة..

رسالة أودت بحياة أحلامي وذكرياتي معه، أضاعت كل ما بنيناه سويًّا في مهب الريح.

يومان صمت، لم أدرِ بماذا أشعر أو كيف أعبر عما بداخلي، أحيانًا نكتفي بالصمت حين يؤلمنا قلبنا لهذه الدرجة، ولكن كيف يمكننا أن نصمت ونكتم ذلك الوجع؟ !

اكتفيت بأنني انعزلت يومين أبكي فيهما بمفردي، لا أحد يفهم مقدار ذلك الألم الذي يجول بداخلك كيفما شاء، لا أحد يفهم..

مرت أشهر على الفراق، ما زال يجول بخاطري أحيانًا، رغم عدم وجود صور تجمعنا سويا إلا أن ذكراه محفورة داخلي، ما زلت أحتفظ بورقة مكتوبة بخط يده وقداحته.. لا أستطيع التخلص منهما ولا من ذكراه!

مررت بكل ما هو سيئ وكان هو دائما بجانبي، لكني لم أكن أعلم أنه سيكون أسوأ ما سأمر به يوما...

الآن..

بعد رحيله حاولت تجميع شتات أمري وأستجمع قوتي من جديد، أحيانًا أنجح وأحيانا أفشل وتنفد قواي قبل أن أبدأ، كنت أواجه مشاعر الجميع بالرفض وأُسبب ألمًا ليس لهم ذنب فيه سوى أني متعبة وخائفة وأشعر بالألم !

ها أنا أخطو إلى ما بعد العشرين بسنوات قليلة، صار غضبي وألمي أقل عما تركني فيه، لكن الخوف وعدم الثقة بلغا ذروتهما رغم محاولاتي المستمرة في السيطرة عليهما..

عزيزي يا من كنت عزيزًا..

تركتني وحيدة ولكن الآن لم أعد وحيدة.. فأنا أمتلك نفسي وقلبي وسلامي الداخلي.

(٨)

عزيزي "الحبيب" جدا..

كيف حالك في هذا البرد القارس؟

أرجو ألا تكون مشاعرك بتلك البرودة أيضا..

الشتاء حلّ ولكن المطر يأبى الهطول حتى الآن، تماما مثلك أنت تأبى الاعتراف بعشقك رغم ما تبوح به عيناك.

كنت أدري منذ البداية بأنني لست سوى نزوة، سببًا يبقيك حيًّا رغم أحزانك الخاصة الملتصقة بزوايا روحك..

كنت أعلم جيدا أن محاولاتي المتكررة لانتزاعها من داخل أعماقك محكوم عليها بالفشل، لكني لم أتخلَّ عن ذلك، كنت أشعر بأنني على الأقل سأترك أثرا جيدا مقابل تلك الأحزان، ولم أدرِ أن تلك المحاولات زرعت نبتة عشق تنمو في الخفاء بفعل مواقفي النبيلة والتي تحمل مشاعري معها دون دراية مني أو علم.

لا أدرى ماذا رأيت في نفسي حتى تقع في غرامها رغم التأخر!!

هل لأنني أُكْمل نواقصك، أم لأنني مختلفة عما تملكه أنت، أم يا تُرى لأنني رائعة في دور العشيقة الفاتنة التي تهواها في الخفاء، وتحظى بكَ أرستقراطية ما أمام العالم؟!

حاولت كثيرا أن أرحل، أن أهرب منك، أن أترك عالمي معك لأعود إلى الواقع، ولكني وجدت نفسي أعود إليك، أختبئ داخل أحضانك وأتمسك

بكَ جيدًا حتى لا تفلت يداي وأتوه عنك في دنيا العبث والوحدة واللا شعور..

يبدو أن محاولتي الأخيرة في الهروب باءت بالفشل..

ظننت أن الرحيل عن كل شيء تاركة ذكراك خلفي سيساعدني في تجميع شتات أمري، لكن ما حدث هو العكس تماما!!

صارت ذكراك ورائحتك تطاردني في أحلامي حتى صارت كوابيس، وتراودني في يقظتي حتى اختلط الوهم بالواقع..

الحقيقة أني الآن في اللا مكان بين الوهم والواقع، في اللا مكان بين العودة والذهاب..

أنا فقط في اللا مكان من كل شيء، أنا تائهة !!

أنا أفتقدك..

(٩)

عزيزى..
أعلم أنك ستقرأ..
أعلم أنك تقرأ جميع رسائلي السابقة..

رسالتي هذه موجهة إليك أنتَ تحديدا، فأنت وحدك من تستطيع فهمي دون كلمات كثيرة أو عبارات منمقة، نظرة عيني وحركة جسدي ورعشة يدي ونبرة صوتي يخبرونك كل شيء دون أدنى مجهود مني لشرح ما أمرُّ به..

دعني أخبرك أنني متعبة وخائفة..

متعبة من كل شيء، من عائلتي الأنانية التي لا أجد نفسي فردًا منها، من عملي الذي لا أجد فيه مقابلًا مُرْضِيًا.... بشر تحت أسماء رجال يقتربون مني فقط لأنهم رأوا أنني مُشبِع جيد لرغباتهم المكبوتة اللاتي لا تلبيها نساؤهم... من وحدتي القاتلة... من صلابتي التي تكاد تتهشم من قسوة الأزمات التي تعصف بي، من عنادي، من كل شيء!

خائفة من البقاء وحيدة في عالم لا يعرف الرحمة، من عائلة لا تعرف معني الاحتواء، من نظرات افتراس بشر لا تعرف الإنسانية، من نفاد قوتي والوقوع فريسة تحت مقصلة الحياة، من اعترافي أنني أريدك، أنني لا أشعر بالأمان إلا معك لذا أفتقدك كثيرًا، من عدم استيعابك كم أشتاقك رغم

إرسالي لك "اشتقت إليك".. إلا أنني خائفة ألا تكون كافية حتى تشعر بي، خائفة من تعلقي بك وأنا التي لا تتعلق بأحد حتى لا أفقده كما فقدت كل غالٍ ونفيس على قلبي وروحي خلال سنوات مضت.

خائفة من الوقوع في حبك وأنا التي لم تعد تعرف كيف تُحب وضلت عن طريق العشق منذ زمنٍ بعيد !!

أعلم أنك ستقرأ..

لذا اقرأ هذا..

"أنا أفتقدك... أنا أشتاقك... أنا خائفة دونك... متعبة في البُعد عنك... أريدك وكفى!"

(١٠)

عزيزي العزيز جدًّا والحبيب إلى الأبد..
مرحبًا بكَ في عالمي..
عالم مخيف.. أليس كذلك؟!

أعلم أنه مخيف ومرهق إلى حد كبير، لكنك تمتلك قوي خارقة منحتك فرصة الدخول إليه، فهذا العالم السري لا يدخله سوى من يمتلك المفتاح الذهبي.. حتى أنا لا أعلم من يمتلكه!

فصانع المفتاح قذفه في فجوة زمنية غير محددة الأبعاد، لا أعلم لمن سيصل، ويبدو أنك وجدته أو هو وجدك، لا فارق لدى!

حسنًا..

دعني أخبرك قواعد الدخول وضمان الاستقرار في عالمي.

أنا دائمًا وأبدًا في المركز الأول، لا أقبل بأن أكون أقل من هذا، ولا أسمح بوجود شريك أيا كان!

عليك أن تقدم ربع حبك لتنال كامل حبي، لا تكذب ولا تتجمل فأنا لا أرى الكاذب رجلًا، اهتم أنت بالكل ودعني أهتم بالتفاصيل، ولا داعِي أن أخبرك بأنني قوية الملاحظة ومُحبة وملمة بالتفاصيل والأجزاء الصغيرة..

أنا مُرهِقة حد الملل، أكره الروتين لكنك ستجده في اهتمامي الشديد، غير تقليدية لكنني أنثى شرقية في الأخير، متحررة وأكره قواعد المجتمع..

لكنني أعيش وفقًا لقواعدي، مزاجية كطقس فصل الخريف.. متقلب لحظيا بشكل لا يمكن التحكم فيه، صلبة كلوح زجاج، هشة كزجاج به شروخ..

لن تجدني أبدًا كهؤلاء النساء اللاتي يتبرجن دائمًا بلا داعٍ، رؤوسهن فارغة، عيونهن مزيفة اللون، مزينة بستائر من الكحل والرموش الاصطناعية، إما يبتسمن ابتسامة صفراء تحمل كرها وضغينة، أو يضحكن ضحكة رقيعة مبالغا فيها لجذب الانتباه..

سأكون دائما على طبيعتي، يومًا تراني في أبهى زينتي، وآخر ستراني بهالاتي السوداء وعيني الحمراوين، أحرق سجائري دون راحة كهشيم صحراء اشتعلت به نار فاحترق حتى صار رمادًا..

أو كاحتراق حِصان طروادة..

أنا مختلفة دائمًا، متمردة أحيانًا، عنيدة غالبًا، لكني مخلصة إلى الأبد..

إذا أحببتك امتلكت قلبي، وإن أردت الرحيل لن أتمسك بك.. فالباب على مصراعيه لمن أراد الخروج، لكن أعطني المفتاح قبل الرحيل!

(١١)

إليك عزيزي..

كيف حالك؟!

ما أخبار حالتك النفسية في هذا الطقس الممتع؟!

أعلم أنك تحبه، لطالما كان المفضل لديك ضمن فصول العام، أنا أيضًا أحبه.. وأحبك!

حسنًا.. بعد الاطمئنان على أحوالك، دعني أخبرك حالي..

أنا حائرة!

لا أعلم ماذا أفعل مع هؤلاء الحمقى!

البعض يمدح في جسدي دون الاهتمام لمستوى فكري وثقافتي التي غالبا تفوق ذكاءه أضعافا مضاعفة، والبعض الآخر يمقت ضخامتي التي غالبا تكون بسبب ملابسي الفضفاضة أو اختراعي لموضة لا تليق إلا بي..... لكن ما يغفر لهم مدحهم في عملي وتفوقي الذي لا يضاهيه أحد منهم..

نعم أنا مغرورة بعملي وبذكائي وبجمالي أيضا، فأنا حادة الذكاء، بسيطة الجمال، بصْمتي لا تُمحَي، تأثيري لا يُنسَى.. فأنا فريدة والزمانُ شاهدٌ على هذا!

قوتي لا تنهار، طاقتي لا تنفد أبدا حتى وإن أوشكت، إلا أنني أُعيد شحنها من جديد فأعود بحماس مشتعل عن ذي قبل، لا أقبل الإهانة ولا أتحمل الخذلان، أعمل بجد وشغف لا محدود، لذا لا تُحجِّم موهبتي وإبداعي لتصل إلى ما يرضيك..

الكل مباح في الحب والحرب، وأنا أعشق القتال في كل الحالات، لذا فاحذر صمتي فهو يشبه هدوء ما قبل العاصفة!

ورغم صمتي الدائم طويلًا..

لا تنسَ أنك المفضل لديّ دون العالم.. وستظل!

(١٢)

عزيزي البعيد جدًّا والحبيب دائمًا..

مشاعر كثيرة تتخبط داخلي بجدران روحي الهشة، لا أعلم لمَ البحث؟ أنا عنيفة هكذا مؤخرا، ضعيفة التحمل، قليلة الطاقة، أقل شيء يُرهقني وأعاني بسببه!

أشعر كأن الخذلان خُلق من أجلي فقط، أتمنى أحيانًا أن أفقد ذاكرتي بعد أن خارت قواي، أصبحتُ بقايا إنسان شارد في أرض الله باحثة عن مأوًى يحميني من تلاحق الخيبات، ومخدر للخدوش النفسية والأوجاع وتجبير الخواطر المكسورة، ومهدئ للآلام الناتجة من التجاهل والخيانات...

أعلم أنني أبدو هشة ضعيفة تائهة ضالة لطريق استقراري، فالصدمات لم تأتِ إلا من القريب والحبيب، لكني دعني أخبرك أنني وجدت صمودي وبقايا هيبتي وكبريائي وقوتي.. معك!

لم أعد أبحث عن شفائي منذ أن وجدتك، يبدو أن الحياة قررت إعطائي فرصة جديدة لأخوض التجربة من جديد، فالخذلان المتلاحق لا يعني انتهاء الحياة بل فرصة جديدة لأحيا حياة أخرى..

أما عن السبب..!

حسنًا لا أدري ماذا حدث، لم أكن أخطط لأقع في حبك، حاولت كثيرًا معارضة مشاعري لكنها خانتني وتعلقت بكَ رغمًا عني، قد تكون مشاعر احتياج، قد يكون انجذابا مؤقتا، أو انبهارا مزيفا، لكنها حالة غريبة.. ووضع

مريب يُرعبني كثيرًا لدرجة تجعلني أكرهك، الخوف من أن تكرهني وترحل عني، فأكره نفسي...

لكن برغم من عدم السيطرة على وتيرة الأحداث، سرعة وتناقض المشاعر التي تجول بخاطرنا، والخوف الذي يملؤ قلوبنا، إلا أنني أحتاجك وأريدك دائمًا.. لا ترحل عني أو مني!

(١٣)

عزيزي...

معذرَةً.. فأنا أمتلك عدة شخصيات تتنافس داخلي لكي يظهر أحدها ويسيطر بمفرده!

دعني أخبرك أنني القاتلة المدمنة العاهرة القديسة الطيبة القاسية الأنثى المسترجلة الخائفة القوية.. والمريضة...

قاتلة لكبرياء رجال ظنوا أن بمقدرتهم السيطرة على أنوثتي وهزيمتي، مدمنة للبقاء وحيدة مع إعطاء الكثير من الفرص رغم الخذلان الذي بنى عشًّا داخل روحي، عاهرة مع من أحببت مع البقاء... قديسة المبادئ والقيم، طيبة... أعشق كل ما هو جميل؛ وما زالت كلمات المدح والإطراء تخجلني، قاسية على نفسي التي تتناسى وتغفر أخطاء المقربين رغم عدم مبالاتهم بي أو الاهتمام بوجودي من عدمه، أنثى تعشق جمالها وتتدلل به وتتفنن في إظهاره بكل مشاكسة وإغراء، لكنني رجل مع الغرباء وكل من يرى أنني مطمع، خائفة من الخوف ومن نفسي ومن شخصياتي المتعاكسة ومن فِقداني السيطرة، لكن رغم هذا أنا قوية لا أنحني لا أنكسر ولن أنهزم أبدا..

هذا وإن دل.. فهو يعني أنني مريضة، فالحقيقة كلنا مرضى نفسيون لا أستثني أحدا!

لكنني استطعت التأقلم مع ذاتي، مع شخصياتي، أعلم متى كل وجه يظهر ولمن..

أما معك..

لا أستطيع التحديد، جميعهم في حالة تخبط وحيرة، الأنثى تريد الظهور لكنها خائفة، فيسيطر الرجل القوي مع لمحة قاسية، إلا أن العاهرة الطيبة وقعت في غرامك، والقديسة ما زالت متمسكة بزمام الأمور..

وتيرة الأحداث تتسارع، المشاعر تتصارع، وأنا أسيرة بينهما!!

لا أعلم حتى متى سأتحمل هذا، ولا أدري إن كنت أنت ستتحملني!

(١٤)

عزيزي العزيز..

أكتب إليكَ مجددا عند منتصف الليل..

ذلك الوقت الذي صار رفيقي وأنيس وحدتي..

أكتب إليكَ اليوم عن عزيزي، من كان عزيزي يومًا ما، لا تظن أنني تذكرته لأنك لست معي، فأنا لم أنسه كي أتذكره، لم أعد أشعر تجاهه بالحب أو مشاعر العشق الفياضة، لكنني ما زلت أتذكر كيف كنا سويا وكيف كانت أيامي معه..

أتعلم أنكما متشابهان..

ولكن كيف يتشابه النقيضان؟!

نعم.. أنتما مختلفان كل الاختلاف، لكنكما وجهان لعملة واحدة..

دعني أتحدث باستفاضة أكثر.. فالحديث سيكون ممتعًا مشوّقا للغاية..

عزيزي كان يمتلك قلبًا طيبًا ينبُض بالحب رغم إنكاره وجود حب في هذا الكون، أرادني أن أترك عملي لأنني لا أحتاجه، كان يرى قوتي لكنه أحب ضعفي في وجوده ليكون هو "حامي الحِمى"، رأي اختلافي وتميزي وموهبتي، أحبهم في البداية كما أحبني، لكنه أراد أن أتخلى عنهم لأشياء أخرى رأى هو وحده أنها الأهم!!

كان يعاقبني بالغياب، يحفزني بمنعي من سماع صوته ورؤيته، يمن عليَّ أحيانًا بالحديث معه أو أن أغفو على صوته.. آآآهٍ كم أحببت صوته!!

ديموقراطي بدرجة ديكتاتور محترف.. الجميع يدلى بآرائه والقرار له وحده!

رغم كل هذا.. أحببته دون أن أرى ما يعيبه، ففي نظري كان رجلًا والرجال قليلُون!

أما أنت.. فالنقيض تمامًا رغم الاتفاق!

أنت عزيزي تمتلك قلبًا يحمل بعض الكراهية لمن يؤذيك، تؤمن بالحب العظيم إلا أنك لم تجده بعد..

تأمرني دائما ألا أترك عملي.. فأنا دونه لا شيء، ترى نقاط قوتي في ضعفي، تعشق قواي الخفية خلف أنوثتي.. رغم هذا تطالبني دائما بإخفائها!

ترى اختلافي وتميزي في صمتي وتحفزهما ليستطيعا رغمًا عني، ديموقراطي بدرجة أناني.. فالمهم والأهم هو "أنت"!

رغم أنك لم تصل لمرحلة الثواب والعقاب بعد، إلا أنك تتشابه معه في حرماني من محادثتك وسماع صوتك وحتى رؤيتك، ألم أخبرك أنكما رغم النقيض.. وجهان لعملة واحدة!!

إن كنت أملك الخِيَار.. لجمعتكما في مكان واحد.. لقاء واحد بينكما وأنا في المنتصف، ليس للمقارنة بينكما، ولا لإثارة حقد أحدكما ضد الآخر،

فأنا على يقين بمدى غيرة كليكما، ودرجة حب كليكما لي رغم إنكاركما وعدم البوح بذاك الحب المكنون يوما!

لكن أنتما فقط من لهما التأثير الأكبر في قلبي ومشاعري، والتغيير المتطور على حياتي..

فهو من كان عزيزي، من أحببته يومًا ما، وأنت عزيزي العزيز، من جعلني أحب من جديد!!

(١٥)

عزيزي -من يحاول أن يكون عزيزًا ولا يستطيع-

أعتذر عن الغياب وانقطاع الرسائل لعدة أيام، فقد كنت أفكر في خطة لكي أنتقم من نفسي..

أعتقد أنها خطة ذكية للانتقام.. سأخبرك خطواتها ولكن النتيجة قد تختلف!

الخطوة الأولى: الوقوع في فخ الإعجاب.

تَعرَّف على أحد ما، ثق به، أعطه الأمان، بعد التعارف ستجد أنك معجب به وعلى حافة هاوية الحب..

الخطوة الثانية: تلاشِي كل الحواجز المنيعة.

بعد إخباره بحقيقة مشاعرك وأنك معجب، افتح له الأبواب المغلقة، واكشف له الأسرار الداكنة والدفينة داخل نفسك البشرية، انزع عنك قناع الواقع واجعله يتعرف على الوجه الآخر لك، حطِّم كل الحواجز والجدران والموانع، أدخله متاهة روحك واتركه يتعرف على جوانب نفسك..

الخطوة التالية: اهتم.. كثيرًا.. جدا!!

الاهتمام ثم الاهتمام ثم الاهتمام.. كلاكما سيهتم بالآخر كثيرا، فالاهتمام هو مفتاح للقلوب المتحجرة، وصك أمان يطمئن الروح الهشة، اغمره باهتمام بالغ بأدق تفاصيل حياته، اجعله يشعر بالشغف لفضولك الزائد لمعرفة ثغراته وأسرار وروتين يومه، اهتم..

الخطوة التي تليها: الانضمام لصف العرائس..

حسنًا.. بدأت المرحلة الجدية..

بعد هذا الكم من التعارف والاهتمام والإعجاب والتجاذب، سينتهي بك الحال لأن تنضم إلى رف العرائس المركونة لحين الحاجة إليها أو الانتهاء من المشاغل كما يدَّعي..

ستشعر أنك أداة متعة وترفيه في وقت الاسترخاء، أو كأنك عروس ماريونيت يتحكم بك من خيوط مربوطة بقلبك وعقلك ومشاعرك، فتفعل ما يدفعك لفعله دون تفكير.. ستصير عروسًا خشبية!!

الخطوة ما قبل النهاية: تمرد!

أعتذر عن دُفعة الأمل والحب الجميل التي نشرتها في بداية الرسالة، كنت أتمنى أن تدوم طويلًا.. لكن ليست كل الأماني حقيقة!

الآن وبعد أن تراكم عليك الغبار.. فبمجرد مكوثك على الرف سواء مطولًا أو لا ستشعر أنك "بالة" لا فائدة لها، لذا انهض وانفض غبارك وتمرد..

ارفض هذا الوضع، انتفض من أجل تلك المشاعر الجميلة التي نبضت داخلك، تمرد عليه وعلى إهماله لك المقصود كان أو عن غير عمد..

خطوة اقتراب النهاية: التحايل.

في هذه المرحلة ستشعر أنك نجحت وأن خطاك اقتربت من النهاية وباتت على مشارف النجاح، لا تفرح كثيرا، لأنه سيعود سريعا بأسلوب تحايل جديد يضغط به على مشاعرك، يتجاهل تمردك ويطالبك بأن تلين، سيلجأ لاستخدام الكلمات الرقيقة ذات الصدى المذيب للقلوب، سيخبرك كم يشتاقك ويشتاق لرؤياك.. لا تلِنْ ولا تضعف.. الثبات على الموقف هو الحل.

الخطوة النهائية: نفسك وما تستحق.

لا تحزن إن خرج ولم يعد، فهو من البداية لا يستحق البقاء..

تخطِّ ما حدث وانظر إلى الدرس المستفاد وتعلَّم، لا تعطِ الفرص لأحد كي يقترب من خطوط حياتك الممنوع الاقتراب منها، ولا تعطِ الإشارة الخضراء لكي يعبر الحواجز المنيعة وتجده في عقر داره.. فليس الجميع يستغل الفرص جيدا.

فقط وحده من يستحق سيخلق فرصته بنفسه، لن يحتاج إلى الإذن أو ينتظر الإشارة، سيثبت بأفعاله أن الفرص خلقت من أجله، وأن وجوده هو الأمر الطبيعي الذي يحدث دون عناء أو مجهود يذكر..

فقط وحده من يستحق..

هذه هي الخطة كاملة، خطة الانتقام من النفس، ثم من المدعوّ عزيز، ثم من النفس مجددا..

وإن كنت لا تؤمن بنجاحها أو بقدرتك على تنفيذها، إليك حل أفضل..

"لا تقع في الحب مطلقًا.. فهو طريق هلاك إن لم يبادلك العزيز إياه!"

عزيزي العزيز جدًّا والحبيب دائمًا..

لقاء.. ابتسامة يشوبها الحزن.. عيون شاردة.. أصابع تتشابك سويا في قلق.. ونحن !

نبضات قلبي تُخبرني أنه اللقاء الأخير..

وكيف يكون غير ذلك ونحن أمام مفترق طرق لدربين كلاهما أصعب من الآخر، ولكن أحدهما صعوبته أقل للاحتمال والتنفيذ.

رغم أنه اللقاء الأخير إلا أنه أشبه بذلك الأول منذ أعوام مضت، ضحكاتنا المتعالية، نبضات القلب السريعة تخفق بقوة وحب، نظرات الأعين الخجول مع لمعة لم تنطفئ أبدًا ولن تشتعل مع سواك !

اللقاء الأخير ويا ليت كل الوداع كوداعنا ذاك!!

هدية.. حزن.. صمت.. دموع!

إنها اللحظات الأخيرة قبل الفراق، والرحيل دون عودة، القلب يأبى، والروح ترفض الانفصال..

ولكن الفراق آتٍ لا محال.. فلِمَ الانتظار؟!

ها هي آخر دمعة تسقط لتكتب النهاية، وتختتم الوداع، ونعود غرباء، كأننا لم نكن أبدًا ولن نكون مطلقًا!

(١٦)

عزيزي أو من ظننت أنه هكذا!!

كيف حالك؟

أتشتاقني في البُعد كما أشتاقك؟!

ما أطولها المسافات وما أصعب الوقت الطويل الذي لا يمر.. يا ليته لا يمر أبدًا حتى لا أفيق على تلك الحقيقة مجددًا!

تتساءل عن أي حقيقة أتحدث.. أليس كذلك؟!!

حقيقة أن غيابي لا يؤثر كثيرًا، كوجودي غير المجدي أيضًا..

أتعلم..

لا بأس بالرحيل، أستطيع فعله الآن كما فعلته من قبل، فقد رحلت كثيرًا عن أُناس ظننت أن الحب كان القاسم المشترك بيننا، لكنه لم يكن أبدًا هناك..

ظننت أيضا أن الحب وجد طريقه إلينا، لكن يبدو أنني مخطئة، فلا أنت هنا، ولا أنا قادرة على البقاء في هذه الحالة..

كنت أحاول جاهدة طيلة الفترة الماضية أن أخبرك بأنني أحتاجك، فأنا لم أكن بخير، والوضع يزداد سوءا يومًا بعد يوم، وأنت لست هنا، ولا تحاول حتى، ولا تسمع نداءاتي...

توقفت عن مراسلتك عدة أيام ظنا منى أنها آخر محاولات الاستغاثة، فقد حاولت جاهدة أن أخبرك أنني لست بخير تارة برسائل قاسية، وتارة

أخرى برسائل مليئة بعبارات الشوق والحنين، لكن لا فائدة..

لا أجد حلا سوى الرحيل، فلا أنت قادر على الوجود ومحاولة احتوائي، ولا أنا أستطيع البقاء دون قليل من الاهتمام وكثير من الحب، فرغم البرد القارس إلا أن قلبي نبض لك. لكن قلبك يشبه الصحراء الخاوية لا صدى فيها سوى صوت الرياح العاتية!!

سأترك لك برودة الطقس، وتقلباته المتزايدة، وتقلباتك المزاجية، وأجد دفئي الخاص، وحرارة قلبي في مكان آخر، مكان أكون فيه وحدى.. ورسائلي!

(١٧)

عزيزي العزيز جدًّا مهما فعل..

ذكرى لقائنا حانت، كما حانت ذكرى ثورتنا السابعة!

المجد كل المجد لثورة محت آثار ظلم وقهر وقمع لأحلام دامت سنوات طويلة، لقد أسرتني في لقائنا الأول كتلك الثورة في وهلتها الأولى أسرت قلوب الكثيرين وأذهانهم ومشاعرهم.. ضحوا بكل ما امتلكوا من أجل انتفاضة مجيدة على الفساد والإهمال والكبت الدفين!!

وأنت..

اصطدمت بمسار حياتي فتغيَّر وتغيرت معه توجهاتي، فمنذ دخولك دائرتي وداخلي في حالة ثورة ضد كبت المشاعر وانتهاك أحلامي وانتفاضة على ارتكاب خطايا لا تُغفر في حق نفسي، كخطايا الآخرين في حق الوطن!!

سرعان ما نجحت الثورة بعد أن دامت طويلا، راح ضحيتها الكثير، ولم نتزعزع عن التضحية بما هو أكثر، ولكن على قدر نجاحها.. تم إهمالها بعد أن تسللت عناصر غريبة كالوباء، فتحولت "حكاية ثورة" إلى رواية خيالية، خضعت تحت مقصلة التاريخ فتم محوها ورفض العلماء تأريخها..!!

تمامًا هي روايتي.. لا تختلف كثيرًا عن رواية وطن انتفضت من أجله يومًا، فالدافع وراء ثورتي هو الحب؛ والدافع وراء انتفاضة ذاتي الحب أيضًا!!

نعم.. لأول مرة أعترف أنني "أُحبك".. منذ الوهلة الأولى وأنا تحت تأثير هالتك المختلفة التي اختطفني دون الاخرين، فنحن البشر نشعر بالحماسة نحو كل ما هو مختلف، يبعث فينا انجذابًا لم نشعر به من قبل..

هكذا هو حالي، تأثيرك كان له الوقع الأعظم على نفسي، انتفضت مشاعري نحوك، تأبى المزيد من الخضوع تحت قمع دام طويلًا، وجدران حالت دون أن تذهب لأحد أو تثور منادية بِحُب أحدٍ سواك..

ولكن سرعان ما خمدت ثورة نفسي البشرية، التي لم تدم طويلا كثورة وطني، حيث اصطدمت مشاعري مع انتفاضتي بحائط الإهمال الذي أخبرنا جميعًا بالخروج عن المسار واختيار إجباري لمسار آخر أقل حماسة، أقل أملًا، لكنه ما زال يبعث قليلا من الحب، وبعض الاهتمام المتسلل بين معاناة وانتظار طويل تارة، وجفاف عاطفي تارة أخرى..

لم أفقد اهتمامي بالثورة، ولن يضيع أملي عبثا، كذلك هو الوضع معك، لن أستسلم ولن أفقد شغف انتفاضة قلبي هباءً دون عناء.. فامتلاك شيء بطريقة سهلة، يكون فقدانه أسهل!!

(١٨)

عزيزي الـ...

حسنًا.. لا أجد صفة دائمة ألصقها بك!

فأنت رغم الفراق والتقلبات والخيبات، ما زلت عزيزي العزيز على قلبي! كيف حالك؟!

أتمنى أن يأتيني الرد سريعًا، فقد تسرَّب الملل والضيق إلى نفسي، فأنت تُجيد البقاء بعيدا، وأنا مهما حاولت الاقتراب.. أكون أبعد عن أقرب نجم تراهُ في السماء!!

لذا يؤسفني أن أبلغك.. حان وقت الانسحاب..

أنا أومن كثيرًا بالإشارات، كل ما يحدث في هذا الكون له سبب ما.. حتى وقوعي في حُبك كان مقدرًا منذ البداية، لكن عدم مبالاتك بي لم تكن في الحسبان..!

أحيانًا.. تُبعَث لنا إشارات تساعدنا على فهم أن الواقع ما هو إلا فيلم ردئ رديء غير كاف لإشباع الرغبات، والشهوات الإنسانية، وتحقيق الأحلام!

لكننا نتجاهل تلك الإشارات، رافضين إياها تارة، متمردين عليها تارة أخرى، أو لأننا نأمل أن هنالك مشهدا ما سيكون نقطة التحول في مسار الفيلم ليصبح مؤهلا للفوز بإحدى جوائز الأوسكار مثلا.. كأفضل فيلم روائي في التاريخ !!

لكن علاقتي بك للأسف قليلة الإشارات، فالطقس ملبد بالغيوم، الثلج يتساقط بين الحين والآخر، الضباب يخيم على كل شيء تاركًا الجميع مخدرا بالبرد، المسارات تتقاطع ولا إشارات على طريق!!

كم أتمنى أن يصفو عكر علاقتنا، كسماء عادت إليها زُرقتها بعد انقشاع الغيوم، وسطوع القمر وتلألئ النجوم في ليلة صافية انقطعت فيها الأمطار عن الهطول بعد أن محت حزن الشتاء.. وحُزنى!!

كم أتمنى أن تبعث لي إشارة تخبرني بها ألا أنسحب الآن، أن أستمر في البقاء قليلًا بعد، وأن هناك مشهدا سيجمعنا سويا..

أنا حقًّا أنتظر إشارة.. !!

(١٩)

عزيزي الحبيب جدًّا..

كيف حالك بعد أن كتب القدر الحياة لعلاقة لم تكن في الحسبان!!

وأنا التي هجرت الرجال جميعًا بإرادتي، وجئت أنت سلبتني الإرادة وأسرت قلبي بكامل رضاي...

لا أدري لماذا.. لكني أدري أنك مختلف لست كالآخرين الذي مروا بحياتي..

فكل الذين مروا خلالي لم يعبروا بسلام، دفعوا مقابل ذلك بكل خفة وهدوء، وأنا أيضا دفعت المقابل غاليا..!

ما أروع الوقوع في الحب - وما أقساه-

أحدهم مر.. أثنى على جمالي ورحل، وهذه كانت أول وآخر مره أشعر فيها أني أنثى..

آخرون حلوا بي كمحطة راحة، أزلت أثقالهم ومحوت همومهم وملّستُ يدي على رؤوسهم، وحين أعلنت صافرة القطار عن الرحيل.. ذهبوا، ولكنني حتى الآن في داخلي أمٌّ تتقن العطاء غير المشروط دون انتظار مقابل، وبين الحين والآخر عندنا يمر قطار الحياة بمحطتي.. ما زال بعضنا يلوح لبعضنا حتى الآن...

البعض لم يحبوني أبدًا، ولم أجد مبررًا لذلك، لكن الآن عندما ألتقي بأحدهم يقول لي بشكل ما: إنني إحدى خساراته الفادحة - وأنا أؤكد ذلك !

قليل ممن مروا بي تركوا لي من الذكريات ما يكفيني لأعيش بسلام، وللأبد، ورحيل الكثيرين علمني كيف أعتني بنفسي، أن أقدر نفسي بالطريقة التي تجعلني أنكر حاجتي إلى أحد.. رجلا كان أو امرأة !

وهؤلاء الذين عبروا إلى العالم الآخر، لكن لم يعبروني بسلام، فبقوا داخلي للأبد.. سلام عليهم وعلى روحي الحاملة لذكراهم..

أما أنت..!

آآآه يا أنت..

أنت رجل أحببته بشفافية لدرجة أنك سمحت لي بتخطيك بكل سلاسة فلمست قلبك وتفهمت عقلك، وصارت ألغازك سهلة لي..

كقراءتي للحروف الأبجدية، علمتني في فترة قصيرة متعة الحب، ومغامرة العشق، حتى إنني أستطيع السفر أميالا وأميال وأميالًا لأكون مع من أحب.. لأكون معك!

سأظل أكررها دائما..

أنا بك مكتملة.. معك كاملة.. ولك متكاملة .

(٢٠)

عزيزي..

نعم عزيزي، فقسوتي وتقلباتي المزاجية لا تقلل من كونك عزيزي، ولا تؤكد أنك حبيبي.. أو تنفيه!

فقط فلنكتفِ أنك عزيزي المقرب، فأعزائي كثيرون، وأحبائي أكثر..

لم أرد أبدًا أن يحبني رجل.. فقد أحبني الكثير، كلٌّ منهم بطريقته الخاصة، ورغم الاختلاف إلا أنهم تشابهوا في شيء واحد.. الغباء!

فأي رجل يظن أنه قد أحبني وبهذا استطاع فهمي فهو غبي لا محالة، لأنني استوعبت أن الحب وحده لن يُجيب عن كل الأسئلة التي أحملها بين طيات روحي.

لا أريد رجلًا كل ما يراه هو فتاة جميلة ذات خلق وعلى قدر من الجمال، يستطيع ائتمانها على نفسه ورجولته وكرامته وبيته في المستقبل..

ولا أريد ذكرًا يراني مجرد امرأة تشع أنوثة، تستطيع إغراء قاهر قلوب العذارى بابتسامه، أو أن تسحر فارس أحلام الفتيات فيقع في شباكها، وألا يراني شهوة ترضيه، أو نزوة تشبع رغباته المكبوتة!!

أنا أحمل بين طيات روحي الكثير من الأحلام والطموحات وعدم الاستقرار والتذبذب تجاه كل شيء.

أنا أخشى كل شيء، ولا أخاف شيئا، أنا الخوف والأمان، أنا الحنان والقسوة، أنا القوة والضعف، أنا الطيبة والجبروت، أنا النار وماء

إخمادها، أنا الجحيم والجنة، أنا العالم واللا شيء.. نعم أنا كل هذا ونقيضه...

مهما بلغ بي العمر، سأظل أتساءل عما تخبئه لي الحياة، وأفكر فيما مضى وكيف كان يمكنني تغييره، سأظل أشكك في قدراتي وموهبتي وما يمكنني تحقيقه، سأظل أحمل هم الذين آمنوا بي وترابطت أرواحنا حتى وإن رحلوا عني، سأظل أكترث كثيرا لتفاصيل أمي وأتأمل تجاعيد وجهها وأنشغل بحال صحتها وبظروف عملها وبها.. فهي العالم بالنسبة لي..

حسنا.. أنا كل هذا وأكثر، كل ما أتمناه ليس حبا، أريد رجلًا حقيقيا حين أفقد القدرة على مواجهة نفسي مواجهة حقيقية، والبوح بكل الإجابات عن الأسئلة التي تتصارع في عقلي، يحتويني هو ويرشدني إلى نفسي..

حين أتساءل أسئلة بعيدة تمامًا عن العقل والمنطق، أجده هنا يسمعني، حتى لو لم تكن لديه إجابة عن أسئلتي، يستمع ويتساءل هو الآخر.

كلما زادت حيرتي وتُهت بين أحلامي العديدة التي أخشى تحقيقها، ربّت على قلبي بكلماته ليعيد لي إيماني الكامل بي وبه.

أنا فقط امرأة لا يكفيها الحب والكلام المعسول والوعود الصامتة، ولا أنثى تكتفي بالثناء على إغرائها وقوامها الممشوق وجمالها المعشوق..

أنا امرأة تبحث عن نضج المشاعر واكتمال الأفكار، عن شريك للدرب ورفيق في قطار الحياة!

"لعل وعسى أن أجده يومًا ما"

(٢١)

إلى: عزيزي " دائمًا وأبدًا "

مر وقت طويل منذ آخر رسالاتي إليك، فأنا ضائعة بين تشتت مشاعري وخيبة آمالي وتحطم أحلامي..

واليوم أكتب إليك مجددًا بعد ظهور فارس جديد، عاد بعد سنوات من الغياب، سنوات ذهبت فيها براءتي وطفولتي، تشكَّلت أنوثتي، بنيْت فيها جدران قوتي وقسوتي، دفنت فيها مشاعري ورقتي خلف قضبان حديدية جليدية تحيط بقلبي.. فلا دخول ولا خروج سوى بإذني..

حسنًا.. أنا تائهة.. لا أشعر بأن هذا ما أستحق، لكن سنوات من الوحدة والعزلة والألم ستجعلك ترضى بأي شيء لتتخلل الوحدة بعض الأنس.. وإن كان زائفًا.. وإن كان زائلًا!!

كل ما أريده هو بعض الرفقة، التي تمنعني من افتعال أمر يحمل من الشجاعة والجرأة القدر ذاته من الحماقة، رفقة تعيد الحياة إلى حياتي، إلى ملامحي، إلى قلبي، إلى الروح!

رغم أنني مسلوبة الإرادة، هائمة في السماء دون أن تلمس قدمي الأرض، إلا أنني أشعر بشيء من عدم الأمان، قليل من الخوف وعدم الارتياح، لا أعلم لماذا..

هل السبب أن الفارس لم يعد أنت؟..

أم لأن فارسا جديدا استطاع دخول قلعتي؟

أو لأنني أصبحت مريضة بالخوف والقلق دون داعٍ بسبب ما حدث؟!

أخبرتك أنني مسلوبة الإرادة.. أليس كذلك؟

لهذا السبب لا أستطيع فعل شيء، لا أن أهدأ أو أُهدئ نبضات قلبي، لا أن أتراجع، لا شيء سوى الانتظار، والمضي في طريق مظلم، لا ضوء أمامي، ولا سبيل خلفي!

(٢٢)

عزيزي..

لم أكن يومًا شخصًا مهما في حياة أحد، كنت دائمًا كمن لا وجود له، يمكن الرحيل عنه في أي وقت دون أدنى إحساس بالحزن..

لم أشعر يومًا أنني محور حياة أحدهم، حتى ذلك العزيز الذي ظننتني أحتل مكانة كبيرة في حياته.. رحل دون رجوع!

كنت دائمًا محطة انتظار للجميع لكن لا أحد ينتظرني، منتجع راحة ونقاهة للنفوس العليلة، لكن لا أحد يداوي جروح نفسي..

أنا أقبع في خانة الانتظار، على الرف ككتاب قديم أكلته الأتربة حتى اختفت ملامحه واصفرّ ورقه وبهت حبره..

عندما أغيب.. لا أحد يلحظ ذلك، وعندما أعود لا أجد سؤالًا عن أسباب غيابي..!

هذه هي الحقيقة، حقيقتي التي لا مفر منها، أنني كدخَان لا أثر له ولا ملامح سوى رائحة تختفي في لحظات، ولكن يتبقى رماد الدخان داخلي..

حسنًا.. فلنعترف أنني لا أعرف معنى أن يختارك أحد، أن تكون الاختيار الأول أو في أعلى قائمة أولويات أحدهم، لم يحدث هذا من قبل، وبالطبع لن يحدث الآن..

لم يقاتل أحد للبقاء معي، من الأساس لم يُرد أحد وجودي في حياته حتى يقاتل، أنا دائما ورغم قربي وجودي معهم غريب، غريب جدًّا عنهم، تائه ضال للسبيل، لم أجد ضالتي حيث كنت أنا الضال وما زلت..

كل الأوطان تطردني، كل الأحضان ترفضني، كل الأحزان تطاردني لتُبكيني.. أنا الحي الفاقد لهوية تعريف تساعد في إقامة كياني، أنا اللا صديق لأحد، واللا حبيب لأحد، ليس لدي من أستند إليه، أعرف الجميع لكن لا أحد يعرفني، أسمع الجميع لكن لا أحد يسمعني، لم يغامر أحد لإسعادي رغم مغامراتي وبطولاتي الخارقة لإسعاد الجميع..

لم يتشبث بي أحد عندما قررت الرحيل، لم يبحث عني أحد في عزلتي، ولم يلاحظ أحد الشحوب على وجهي، ولم يبالي أحد لجروح معصمي..

أنا إنسان مجرد.. مجرد من كل شيء حتى ذاته، مجرد شخص عابر في حياة الجميع، إلا أن الجميع يعبر خلاله ولا يمرون، بل ظلوا في الداخل حتى يتآكل ويهوي في هدوء كرماد ذهب في مهب الريح.

(٢٣)

عزيزي العزيز جدًّا والحبيب سابقًا..

أتممنا اليوم عامًا دون لقاء، عام دونك، عام مر كأعوام مديدة لا تنتهي، ما أوحش الفراق وما أصعب النهاية!

عام مر بعد قصة حب كنت أقرأ مثيلاتها في الروايات الرومانسية، وتمنيت أن أكتب عنها، لكن معك كانت حقيقة وواقعًا ملموسًا..

كيف استطعت أن تضع كلمة النهاية في منتصف الفيلم، أن تسطرها قبل أن يبدأ الفصل الأول - كنا في المقدمة ليس إلا..

مر عام ومكانك ما زال خاليًا، لم أقوَ على الاستسلام لرجلٍ آخر، ولم أقدر أن أتنازل عن مشاعر طالما كانت لك وحدك لإنسان آخر.. كيف استطعت الحياة بعيدًا عني أنا.. ملاكك وطفلتك كما عهدت نفسي معك..!

أنا أشتاقك.. ما زلت كسفينة تائهة لا تستطيع النجاة بنفسها بعد أن رحل عنها رُبانها...

حسنًا.. هكذا ظننته سيظل إحساسي بعد عام لكنه ليس صحيحًا أبدًا، لقد تخطيتك، لم أتخط طريقة وضعك لكلمة النهاية كونها مسيئة للغاية لقصة حب جمعت بين أرواحنا، لكن لكل شيء نهاية.. وكما أنهيتني من حياتك استطعت أن أُنهيك داخلي، أعدمتك داخل قلبي وأقمت حدادًا لأيام تكررت فيها ذكرياتي وأيام عمر كامل أمضيته معك فيما يقرب العامين..

في البداية كنت ضائعة، هالكة ومستهلكة، شاردة ومشردة، كنت أنا بلا نفسي، كنت روحًا بلا روحٍ لها، كنت بدونك.. وما زلت!

لكن تحديت نفسي وذكرياتي، حطمتني الحياة أكثر وكنت أستنجد بذكراك داخلي، وأستعين بأفعالك في مُخيلتي لأستطيع النجاة.. وأحذر ماذا؟!

لقد استطعت النجاة بمفردي، صِرتُ رُبان مركبي الضائع الذي أهديته السبيل بعد رحيلك..

قصتنا انتهت لكنك لم تنتهِ داخلي لأنني لم أرد ذلك، لكن هذا كان ماضيا وانتهى.. أستطيع الآن أن أودع أسطورة "عزيزي" الذي طالما خبأتها عن الجميع..

الوداع عزيزي العزيز جدًّا والحبيب دائمًا.

***ملحوظة:**

اشتقت إليك... ألم يحن وقت عودة الربان الحقيقي إلى مرساه!

(٢٤)

إلى عزيزي..

في مكان ما لستُ أدري بهِ ...لقد قرأت كثيرًا، وكتبت أكثر عن أن لا مكان للخوف في قلبِ مُحب..!

ولكنني تأكدت بعد سنوات من اعتناقي هذا المبدأ أساسًا في حياتي وعلاقات بأنني مخطئة، فلا حب حقيقي بلا خوف..

الخوف من تكرار الأخطاء الماضية، الخوف من الفراق، الخوف من ألا أكون كافية؛ فرجلٌ مثلك لن تناسبه أبدًا مبتدئة في الحب، أو مراهقة في المشاعر، يجب أن تكون امرأة مفعمة بالحياة والحب، متوقدة الإحساس، متفجرة الأنوثة والإغراء، والأهم أن تكون الحبيبة والصديقة والأم والزوجة والعشيقة.. فإحداهن فقط لن تكفي !

أخاف ألا تؤمن بي وبحبي لك، وأن تراه نزوة في ريعان الشباب، قصة تنتهي كما ينتهي الصيف لتحل محله رياح الخريف جارفة معها آثار ذكرانا قبل أن تُخلد في تاريخ الحب..

أخاف أن تستغل إحداهن انشغالك عني، لتشغلك في شِباك كيدها، وكيف لا تفعل وأنت قاهر قلوب النساء..!

أخاف من عهود تُخان، ووعود يُهدر حقها، وأضيع أنا بين هذا وذاك، مشتتة بين شتات عهد قلبي بالإيمان لحبك فقط، ووعد عقلي ألا ينشغل بسواك..

أخاف أن تفقد شغفك بي، وأن تخمد رغبتك بي، وألا تظل محتاجًا حِضني للاحتماء فيه..

أخاف أن أفقد حقي الأول والأخير، فالإنسان مهما حاول لن يعشق في حياته سوى مرة واحدة لن تتكرر في العمر..

أخاف أن أستيقظ غدًا، لأجد نفسي وحيدة دونك، وأتوه بين بقايا نفسي وألا أستطيع النهوض مجددًا، فقوتي التي طالما بهرت الجميع على مدى سنوات، تحولت لعِشق غامر ومغامر لك وحدك، فكيف أستطيع النجاة وأنا لا أملك سوى حُبك ولا حول لي ولا قوة..!!

ولكن الخوف.. كل الخوف من شيء واحدٍ هو الأقوى حتى الآن :

" أن أعيش بدونك.. صعب لا محالة"

(٢٥)

- "بعد السلام و غياب الأيام ...

لقد تعاهدنا على كتابة رسائل بعضنا لبعضنا الآخر و لكن لم يتجرأ أحد منا على إرسال تلك الرسائل!

يبدو أننا لسنا الوحيدين ممن لم يمتلكوا الجرأة أو تملكهم الخوف فلم يرسلوا رسائلهم لمن أرادوا..!

رغم بُعد المسافات يبدو أن علاقتنا لم تتأثر إلا أن علاقاتنا الأخرى تبدلت..

لقد تحدثت عن تلك الصديقة في إحدى رسائلي، كانت صديقتي المقربة لكنها تصنَّعت ذلك فقط لتكسر أنفي وتذل كرامتي من أجل كبريائها.. تصنَّعت الاهتمام لهدمي !

هل تعرف ذلك الرجل الذي لا يمت لي بصلة سوي اسمه من بعد اسمي، لقد تصنّع هو أيضا.. تصنّع الاهتمام بدافع الأبوة بل تصنّع الأبوة في حد ذاتها !

أأخبرتك عن العريس الوافد بمعرفة صديقة أمي ؟

لقد جاء لخطبتي وفقًا لوصف صديقة أمي الرائع والمبالغ فيه عني.. حين جلسنا سويا تصنع الاهتمام لما أقوله ولكنه لم يفكر في سوى جسدي وكيف سيناله برخصة أحلّها الله !. حتى صديقة أمي تصنعت الاهتمام بزواجي وإيجاد عريس مناسب لي وذلك فقط بعد أن تزوجت ابنتها التي بمثل عمري تقريبا وأصبحت أنا "العانس"...

خالي الذي فجأة تذكر أن لديه أختًا وابنة أصبح سؤاله عنا وعن أحوالنا دائما وزياراته بلا إنقطاع.. تصنّع الاهتمام من أجل ميراث أمي!

أتدري.. لعل الحياة تتصنّع الاهتمام بنا حتى يحين موعد خيانتها لنا فتكون ضربتها القاضية ناهية..

صار العالم مزيّفًا، كل منا يتصنّع الاهتمام من أجل رسالة كامنة في نفسه لا تعلمها سوى ذاته، اهتمام زائف من أجل رسائل لن تصل ولكن صداها فتّاك..

أخشى أن تصبح أنت أيضا زائفا ومتصنعا.. معي ومع ذاتك، لم يتبقَّ لي سواك لأظل متشبثة بقليل من الحقيقة والطبيعية بدون زيف في المشاعر والأفعال والاهتمام.. لذا ابق كما أنت..

تلك هي رسالتي لليوم، قد لا أرسلها كغيرها ولكن أتمنى أن من يقرؤها يوما ما لن يصطنع مشاعره أو حبه أو اهتمامه تجاه شخصٍ ما، والأهم ألا يصطنع ذاته..

فالاهتمام الحقيقي يبدأ بذات لا تعرف الزيف وتتقبل حقيقتها مهما كانت.. تلك رسالة أتمنى "أن تصل...."

(٢٦)

إليكَ يا مهجة الفؤاد ونور العين..

يا غائبًا في أشد أيام حاجتي إليك.. أكتب إليك وعنك، وكعادتي تخونني لغتي وألفاظي!

ألا طال البُعد بيننا يا هاجري؟!

يا مؤنس الروح والقلب والنفس.. ومُعذبهم..

أشبعتهم حبا وحرمانًا، حتى وجدت نفسي لا تعرفني..

أستيقظ كل صباح لأرى في المرآة امرأة لا تشبهني، أصبحت حالة يرثى لها، لا تمت بصلة لنفسي التي عهدتها..

أعتقد أنني سأتكلم كثيرًا، أو سأصمت كثيرًا، ربما سأفعل ما لا أتوقع الآن فعله.. سأبكي، وأضحك، وأحكي، ثم أتوقف عن الحكاية..

لكنني أتساءل.. حتى متى سأظل رهن اعتقال وحدتي وغيابك وهجرك لي؟!

لقدأصبحت كميناء مهجور، تزوره سفينتك عندما يعصف بكَ الزمن، وتغيب النجوم عن سمائك فلا تستدل على الطريق..

تعود إليَّ في سكون، وأنظرإليك، ثم أنظر إلى القمر فلا أراه، وأعود أنظر إليك، لأكتفي بوجهك عن النجوم، وأتأملك، فأنسى غيابك، وأهيمُ عشقًا وكأن قدرة الله المتجلية في الكون كله، ملخصةٌ بك..!

يا سارق السلوى والفؤاد..

ألن تنظر إليَّ؟!

أنا سماءٌ متعَبةٌ، ملبدةٌ بالغيوم وممتلئةٌ بالمطر، ولا أريد إلا واديًا أسكب فيه دمعي، وأنا لا أخشى الغرق.. أو البكاء..

ألن تخبرني ماذا حلَّ بنا؟!

أين ذهب ذلك الشغف والأنس والأمان..

ألم يحن وقت العودة وانتهاء الرحلة، ألم تكتفِ من الاستلقاء في أحضان الجميع إلا أنا!

يومًا أراك وتختفي دهرًا، ورغم ذلك لا أفقد الأمل في عودتك من جديد..

كل الطرق لا توصلني بك، وقلبي لم يفقد السبيل إليك يا غائبي..!

"ورغم ده كله لِسَّاك حاسس...إن الحب الفرض السادس!"

(٢٧)

إلى عزيزي..

ومَن عزيزي يا نفسي.. أهو الحبيب الأول، أم عزيز القلب والروح والنفس!!

إليك يا حبي الأول والأخير، ساكن الفؤاد، وعزيز القلب والروح والعين وكل ما هو مِلكِي..

لا أدري أيكما أعز عليَّ والأقرب لنفسي.. أنتَ أم البحر؟

يَا أعذب مالح مرَّ بي..

أشتاقك وإن لم يمض الكثير على آخر ما دُونَ لك، فرُحت لبحر الغرام أشكو حال فؤادي، ولكن لم أكن وحدي من يشتاق إليك، البحر ذاته يشتاق لرؤيتك، خضع موجه العالي لمَذلة الاشتياق لك، واسوَدَّت زُرقته حزنًا على غيابك، وأبى أن يجالسه أحد العشاق حتى تعود أنت لمُستَقرك ومَرسَاك..

فرحلتُ أهيمُ على وجهي في حزنٍ على حالي، وخيبةٍ من فشل شكواي إلى بحر الغرام، وشوقٍ إليكَ ازداد أضعافا بعد ما بثَّ الحبيب معاتبته لكَ وشوقه الجارف وحنينه إلى أنسك..

سِرتُ في طرقات الليل الموحش، تحت سماء صافية زرقاء بسواد الظلام، خالية من كل معالم الحياة وكأنها في حداد حتى تعود..

أبحث عنك في وجوه المارين بزحام الحياة، وحتى إن تشابهت ملامحك معهم، فقلبك ليس له شبيه، وروحك ليس لها مثيل، وإن كُنت غائبًا..

تبقى الأوحد الذي تراه العين دائمًا كأنني عميت عن جميع الرجال ما عداك..!

ذهبتُ إلى مسكني الذي آواني بعد أن تركني حضنك ورحل عني، تحاول حروفي الكتابة لك وعنك من جديد بعد أن فاضت المشاعر في هيئة دموع تسيل كَفيضان وجد حريته أخيرًا بعد أعوام من الجفاف..

مازالت تتبعثر أحرف لغات العالم كلما حلّ طيفك، فلا أجد كلمات أكتبها ولاأعرف كيف أصف أيامي في البُعد عنك، فالأيام مظلمة والليالي كاحلة بدونك يا عزيز الفؤاد..

يا ليتني أرمي بكل تلك السخافات التي أبعدتنا إلى التهلكة وآتي إليكَ يا بحر..

رسالة أخرى كُتِبت بعشوائية، من فرط الحنين والشوق، ولكنَّي على دراية تامة بأنَّك وحدك من سيقرأ ما لم أستطع كتابته..

"أوجاع روح"

(١)

لا أدري لمَ أنا هنا أو ما السبب، لا أعرف طريق المجيء أو كيفية الذهاب.. لا أعلم متى سأظل عالقًا هنا!

دعوني أصف لكم ما أنا فيه علَّكم تشاركونني ما أنا فيه ومُقدم عليه..

المكان..

زنزانة مظلمة، أربعة جدران تغطيها أنسجة العنكبوت، وكلمات خطّها من شاركوني قبلي تلك الزنزانة منها "الثورة مستمرة، أنا مظلوم، الله معي.. الله عليكم، آخر أيامي، لن أنهزم وإن مُت..." وغيرها تغطي أرجاء المكان، أستنشق رائحة الذل والمهانة والمكابرة والمثابرة و.. الموت!

الأرض مبتلة، ولا غطاء سوى رقعة قماش لا تكفي ليلتحف بها طفل في العاشرة، شهدت على معارك وصراعات ومقاومة وهزيمة ضد النظام ودفاع عن الإنسانية والمناداة بحياة كريمة.. رقعة قماش كانت أرحم على شركائي من قبلي.. أرحم من البشر، من جاءوا بنا هنا!.

يبدو أن الانتفاضة الشعبية هذه المرة هزت عرش الحكم، زلزلت سلطته فجمعونا في سلسلة اعتقالات واسعة النطاق وتم رمينا هنا في منتصف الليل دون تُهم واضحة، أعتقد أن الأيام القادمة ستكون أكحل من سواد ليلٍ مظلمٍ سماؤه ملبدة بالغيوم.. لا قمر فيها ولا نجوم !

سأحاول أن أجد سبيلًا إلى الراحة لعلي أتناسي ما حدث منذ ساعات..

استيقظت على ركلات يتلقاها جسدي كحارس مرمى يصُد ركلات الترجيح في المباراة النهائية، رفعت رأسي ولكني لم أحدد ملامح من يقف أمامي، سمعت صوتًاأجش ينادي بالسباب يلحقُها "ابن ****"، لم أستطع الدفاع عني أو الاعتراض، ولكن كرامتي لا تسمح بالهزيمة.. انتفضت لأمسكه من تلابيبه إلا أن لكمة واحدة كانت كفيلة لتُنهي المباراة!

أفقت بعدها ولا أدري كم الوقت، صراخ في الآخِر وصوت التعذيب والآهات تدوي في الخارج، تجعل من يسمعها يتمنى الموت قبل أن يتعرض لذلك!

سقطت عيناي على تلك البقعة في أسفل الجدار مرموز لها بـ "ث.ر"، يبدو أنه جُحر صغير يكفي لفأر ولكن ما ذلك الرمز؟!

حاولت الاقتراب أكثر إلا أن صوت الحراس جعلني أرجع إلى ذلك الركن الذي اتخذته مسكني..

في المساء عزمت أن أعرف ما هذا.. اقتربت ووجدت مفاجأة.. إنها رسالة!

لمن هذه ومنذ متى هي هنا ؟!

كنت على وشك قراءتها إلا أن صوت باب الزنزانة جعلني أخبّئها، إنه نفس الحارس الضخم الذي لم أتبين ملامحه يسُبني وينعتني بأبشع الصفات والشتائم، خرج وعاد من حيث أتى وأنا غبت عن الدنيا وما فيها ألتحف بتلك الرقعة...

قرأت الرسالة وهذا نصها:

"إلى قارئ هذه الرسالة، تحية طيبة وبعد ...

وصولك لتلك الرسالة معناه أنك شريكي في الزنزانة، لا أدري منذ متى كنت هنا أو متى رحلت... لكن المؤكد أننا شركاء في القضية .

تلك الزنزانة لا يسكنها إلا الباحثون عن الوطن... ولكن دعني أحكي عن وطني أنا!

أنا ممن يُطلق عليهم "ثورجية"، كنت أثور ضد الظلم.. القهر.... القمع.. الفقر، أثور من أجل الحرية.. الكرامة.. الإنسانية.. العدالة.. الحياة.. القضية.. الوطن ومن أجله..

فكان هو الثورة والهتاف والانتفاضة والمظاهرة وصوت الرصاص والحرية والوطن..

فهو وطني وشريكي ورفيقي وصديقي وسكني ومسكني ومأواي..

كنت أثور من أجل القضية.. فحب الوطن يملؤني حد الاكتفاء، ولكن منذ أن أصبح وطني صرت أحبه حد الاكتفاء.

ولكن حب الوطن أعظم فقرر أن يشاركني قضيتي وثورتي وانتفاضتي!

لم أكن أدري أن حبي لعنة ستصيبه.. آخر لقاء لنا في "وسط البلد" ملاذنا المعتاد وميدان ثورتنا ومكان ولادة حبنا.. ودون مقدمات انقلبت الأحداث ضدنا، لم أعِ من سرعة الأحداث.. أفقت وجدتني هنا كدمات وسحقات تغطي جسدي منها الدامي ومنها المتجلط، بدأت أرتب الأحداث.. كنت أبثُ له شوقي ويبادلني مشاعره حتى جاءوا من لا مكان، ركضنا سويًّا حتى تفرقت أيدينا ووقعت اشتباكات عنيفة بيننا وبينهم، فلم نكن وحدنا

الرفاق كانوا حولنا؛ لا أعلم ما حدث له ولكني قيد الاعتقال الآن..

مجيئي تلك الزنزانة له معنيان: "إما الترحيل لمكان أبشع من هنا حتى يستدل لي على صاحب، وإما التعذيب حتى الموت"..

الحقيقة لا فارق بينهما، فلا حياة لي دون الثورة والقضية والوطن.. وهو! "

يا ألله.. إنها هي، إنها رفيقتي وحبيبتي ومن ثُرت من أجلها، إنها وطني وملاذي وراحتي ومسكني!!

لقد كانت شريكتي حتى في الزنزانة لم تتركني، لا أدري أين هي الآن.. لكن أينما كانت سنجتمع قريبًا، سنجتمع ولا نفترق حد الاكتفاء !

(٢)

وقفت أمام مرآتي.. أطيل النظر في ملامحي.. أحملق في تقاسيم وجهي وجسدي.. أحاول عد شعيراتي البيضاء التي مهدت الطريق للشيب أن يزحف إلى خصلات شعري الأسود المائل للبُني !

تجاعيد وهالاتسوداء وكدمات زرقاء وأرق ومزاج حاد متقلب وذكريات تتحول إلى وحوش ليلية وأحلام تختلط بالأوهام فتتجسد كخيالات راقصة تنتقل بين جدران الغرفة..

وبين كل هذا وذاك.. ذلك الصراخ الذي لا ينتهي، صراخ صاخب مزعج لا تتدري من أين يأتي!هل هو من داخل ذاتك أو من سوداويتهم اللا منتهية؟!

فقط تتمنى لو يصيبك صمم مؤقت - أو دائم لا فارق بينهما - لتنعم ببعض الهدوء المزعج والذي يصير محببا فقط في أوقات الصراخ..

مؤخرًا صار الصراخ متضامنًا مع الوحوش الليلية والخيالات الراقصة، فيتناوبون فيما بينهم ليتصل الليل بالنهار ولا تبقى عقارب الساعة وحيدة دون أحدهم يرافقها !

حتى مرآتي لم تعد تتحمل فبدأت الشروخ تظهر على سطحها العاكس، فاختلطت شروخ مرآتي بشروخ روحي وكأن الجميع يأبى أن أنعم بالسَكينة ويبدأوا بالهجوم..

فلا أشعر سوى بانطوائي على ذاتي ويداي تغطي آذاني من صخب الصراخ والذي يقابله صراخ أعظم يصدر من داخلي ويجرح حنجرتي من قسوته..

جسدي يهتز كطفل صغير تهدهده أمه على نغمات صوتها الرقيق حتى يجد النوم طريق جفناه، لكني أحاول تهدئة جسدي وروحي ودفع الصراخ على التوقف فأردد "اسمك" مرارا ومرارا ومرارا.. حتى أشعر بدفء جسدك يحيط بي والخيالات تختفي داخل الجدران، والوحوش تتحول إلى أزهار ربيعية والصراخ اختفي. وكأن السلام حلّ على الكون أمام حُرمة حضورك...

(٣)

غرفة ساكنة؛ مسجون الصمت بين جدرانها.. اضطرب السكون من أشعة الشمس المنبعثة تتسلل إلى عينها، تفيق كتمثال.. سارت إلى نافذة الغرفة المغلقة لتذيب حرارة الشمس برودة الحجرة الخاوية؛ تحررها من الجمود، والبرود القاتل.. إلا أنها كما هي تتحرك كالتمثال مسلوبة المشاعر والملامح...

جلست على فراشها تحتضن ركبتيها، تحدق في الفراغ ويمر أمامها عمرها كشريط سينمائي ينبض بكل أيامها وسنينها..

مشاهد لطفولتها البريئة تلعب بقطع الصلصال والألوان وهي تحمل عرائسها.

مشاهد لمراهقتها وتغيراتها المفاجأة والمعاملة الغريبة من الجميع، صدى كلمات أخبرها أنها لم تعد طفلة وأن كل خطوة ستكون بحساب، لم تستوعب وقتها ما حدث..

مشاهد لأنوثتها التي تفجرت فجأة غمرت ملامح جسدها الذي برزت مفاتنه، لم تدرك مدى جمال جسدها الممشوق إلا بعد نظرات الرجال التي تلاحقها..

رأت تبدل حواديت طفولتها الساخرة إلى أوامر بأن تفعل ذلك وألا تفعل ذاك ..

شعرها المجدول التي كانت تتباهى به بين صديقتها إلى غطاء محكم أجبروها على ارتدائه في ريعان طفولتها..

سجنوا عرائسها في صناديق محكمة الغلق، كما أحكموا قبضتهم عليها..

ما زالت لا تستوعب ما يحدث، لم تستطع إدراك سرعة الأحداث حتى صارت تنفذ أوامرهم دون وعي.. فهم أولوا الأمر ومن يراعونها!

رغم دفنها لمعالم أنوثتها ومفاتنها تحت لباس أجبروها على ارتدائه أيضا، كانت أعين الرجال تلاحقها وأعين النساء تغار منها، وكأن ذلك ذنبها في أن تكمل دورة حياتها ونموها لتصير امرأة !!

أفاقت من شرودها على جرس هاتفها يخبرها بقدوم رسالة..

نهضت إلى الحمام تجر قدميها، غسلت وجهها بالماء الفاتر علَّه يزيل بقايا نوم جفاها منذ مدة، فأصبحت تجبره على العودة بمنوّم !!

عادت إلى فراشها وتناولت هاتفها لتقرأ اسمه ينير بداية الرسالة!!

شردت بمجرد أن رأت اسمه إلى أحد مشاهد شريط حياتها..

هي ممددة جواره على بطنها، قدماها تداعب إحداهما الأخرى في الهواء، تنظر له بنصف ابتسامة ملتبسة بإغراء مستتر، جذبها إليه بولع فسكنت أحضانه وتوسدت كتفه، تنظر له بأعين تملؤها لهفة الاشتياق ممزوجة بخوف..

غابا عن الواقع في حلم جميل يختلسان الحب خشية افتضاح أمرهما لأحد، غابا عن الحلم بغفوة كالتي أحاطت تلاميذ المسيح ليلة العشاء الأخير واستمرت حتى صباح اليوم التالي..

أفاقت على هزات خفيفة منه هامسا لها لتستيقظ، لم تكن تدري أنها تفيق من حلم جميل على واقع مرير!

أخبرها أن تفيق فلديه موضوع مهم يريد إخبارها به، للحظة شعرت برجفة تسري في جسدها، قلبها أنبأها أن الآتي سيطيح بالحلم الجميل في هاوية الحجيم..

رأته يجول ذهابًا وإيابًا في أرجاء الغرفة حتى توقف أمامها وبدأت الكلمات تخرج من مكنون صدره..

"لقد انتهى ما بيننا، لن أنكر أن الليلة الماضية كانت أعظم من أي ملحمة قرأت عنها في التاريخ؛لكن...

لن أستطيع أن أئتمنك على نفسي واسمي وبيتي، لن أستطيع أن أثق في امرأة فرطت في أعز ما تملك مهما زادت درجة عِشقها... لا أستطيع أن أمنح ثقتي لعاهرة... سأذهب الآن وأعود بعد نصف ساعة، لا أريد أن أجد بقاياكِ هنا، ارحلي ولا تعودي.. سأغفر لكِ وسأنساك وأطوي صفحة علاقتنا ولن أخبر أحدًا بما حدث... "

رحل وتركها في متاهة، قشعريرة تلتهم جسدها، آهات مكتومة تتسلل من قلبها المكلوم من كلمات الحبيب الصادمة، لا تدري ماذا تجمع أولا... أشلاء قلبها المبعثرة أم بقايا أنوثتها التي أهدر دمها للتو بعد أن ناداها " عاهرة" ..

نهضت ترتدي ملابسها ودموعها منهمرة في صمت، مازالت مصدومة، غير مستوعبة ما حدث منذ قليل، تتضارب مشاعرها بين القهر والخجل، بين إنكار حقيقة عشقها الطاهر ووصمها العاهر، بين الوعي وحلم الليلة

الماضية، لقد أصبحت عاهرة بمجرد أن... أن تركته ينهل من أنوثتها..

رحلت تسير بلا وجهة، غائبة عما يحيط بها، يتردد داخلها وصمها بالعُهر، كيف وهي من دفنت أنوثتها مذ بلوغها، تبغض نظرات رجال تلاحقها، تكره غيرة نساء أردن وأد وجودها..

بكت وبكت وهي تردد:"كيف أكون عاهرة وأنا من صنت نفسي حتى عَرِف عشقك سبيل قلبي وسكنت وجداني فتملَّكت كياني وجسدي وروحي؟.."

ما زالت غارقة في ذكرياتها ودون وعي انهمرت دموعها في صمت كما انهمرت ذلك اليوم، عادت تتذكر صراخها المكتوم في وسادتها عندنا عادت إلى منزلها هربا من أعين البشر التي مازالت تلاحقها رغم بكائها وانهزامها..

صرخت وصرخت وهي تنتفض وترفض وصمها بالعُهر، تذكَّرت لحظاتهما سويا وتساءلت كيف تكون عاهرة وهي تداعبه كطفلة وتحتويه كأم وتحاوره بحميمية صديقة، وهي ترويه من أنوثتها لتُشبِعه نهمًا وجنونًا حتى يئن في سُكر ليستشعر رجولته، لا أحد غيره كانت تصيب حواسه بالتشرد فور انسياب قميصها الأحمر القصير على جسدها ليغمرها كموجة هاربة أو نغمة هاربة من سيمفونية يعزفها أعظم مايسترو..

تذكرت صورهما التذكارية بضحكاتهما العالية الممزوجة بالجنون والمرح، لا أحد غيره كانت تشاركه تفاصيل يومها وترافقه في حياته، كانت تذهب معه لابتياع الكتب والهدايا لتضع لمساتها الأنثوية الخاصة في كل ركن من حياته، كانت تشاكسه في غفوته، تستحمله في جديته، تداعبه في هزله ومرحه، لم ولن تسدل جسدها على أعين رجل سواه گستار مانع

للرؤية عن غيرها من نساء حواء..

بعد كل هذا يصدمها أنه لا يثق بها لأنها عاهرة !

أحقًّا صار العشق عُهرًا، أصبح الحب مجرد أسطورة وحكاية من حكايات طفولتها الساخرة ! لمَ يُحرَّم العشق ما دام القلب ينبض بعِشق الرب، لقد حمَلت مريم العذراء بالمسيح عيسى دون أن يمسها بشر ولم يجرؤ أيا كان أن يصمها بالعُهر ، إذًا ؛ لماذا اقترن العشق بالعُهر؟..

عادت من شريط حياتها على نغمة هاتفها لتتناسب ومخزون القهر الذي يضمره قلبها، انفجارات عنيفة تدمي جروحها التي تزداد ألمًا من ملوحة دموعها المنهمرة كزخات مطر في كانون قارس البرودة مشبعة أنوثة وكبرياء مهزوم، رغم مرور زمن ليس بقصير إلا أن تلك الذكريات تلاحقها؛ تنفرها من أنوثتها وتعيدها للواقع بلطمات سريعة متلاحقة دون شفقة أو تردد تدفعها للموت والحياة في آن واحد..

ما زال هاتفها يطالبها أن تجيب نداءه إلا أنه عاد إلى سكونه بمجرد أن تناولته، فتحت رسائل عديدة تحمل اسمه، هو ذلك الصديق الحقيقي والجندي المجهول في حياتها، مَن رافقها في رحلة صراعها مع وصمة العُهر، لطالما أخبرها أنها راهبة رفضتِ الخضوع لغيره، رغم أنه رفض رهبنتها عن العشق حتى معه.. فهي لم تكن مجرد صديقة له على الإطلاق إلا أنه تحمَّل حياتها كراهبة ورضيأن يكون كالمُذنِب يذهب إلى الكنيسة في جلسة اعتراف ليعود منها كمن لا ذنب له.!

كانت الرسائل جميعها تحمل نصًّا واحدًا؛ أنه حاول الاتصال بها مرارًا إلا أن هاتفها كان مغلقًاأو غير خارج نطاق الخدمة.. إلا رسالة واحدة كان ذلك محتواها :

" أنا أحبك وأريد منك أن تحبيني، ولكني لا أريد منك أن تفني كيانك في كياني ولا في كيان أي إنسان، ولا أريد لك أن تستمدي ثقتك في نفسك وفي الحياة مني أو من أي إنسان، أريد لك كيانك الخاص المستقل، والثقة التي تنبعث من داخلك لا من الآخرين..

عندما يتحقق لك هذا لن يستطيع أحد أن يحطمك لا أنا ولا أي مخلوق.. ما حدث سابقًا كان نتيجة لأنكِ أفنيتِ كيانك له وهو لم يقدر ذلك، لكنك تستطيعين أن تلطمي من يلطمك وتستأنفي المسير بكل قوة وشموخ.

هكذا فقط تستطيعين أن تربطي كيانك بكيان الآخرين، فيزدهر كيانك وينمو ويتجدد، وهكذا فقط تحققين السعادة فأنتِ تعيسة يا حبيبتي، وقد حاولتِ ولم تستطيعي، لم تستطيعي أن تخفي عني تعاستك... أنتظرك "..

كانت رسالته بمثابة الشفاء القريب، فمهما بقيت التشوهات النفسية نتيجة وصمه لها، إلا أنها مجرد غطاء خارجي لقلب يغلفه الطُهر والبراءة سيظل حيًّا بالعِشق.

(٤)

تلك الكلمات لمن يمر بسن اليأس العاطفي مهما بلغ عُمره، فمع تغيير الفصول وتَقلب المواسم يمرض ذوو الحساسية المفرطة من التقلب الموسمي.. ومن الذكريات، وغير المحصنين بأمصال ضد المواجع وأشواقهم المجنونة وخيباتهم المهزومة..

تلك الكلمات لكل من يقف على أسطح ذكرياته المتهالكة وروحه المتصدعة الآيلة للسقوط ..

فذلك المناخ النفسي بذكرياته لا مفر منه كالمناخ الجوي، يبدو ألا حل سوى التكيف معه وانتظار رحيله كما رحل الأحبة بلا عودة !

مع قراءتك رسالتي..

صيغ كثيرة ستتراقص أمامك لتفسير كلماتي، فأنا ترددت كثيرًا قبل أن يُفرغ قلمي حِبره لأخط كلمات عارية من القوة، محملة بنزاعاتي وحماقاتي وإخفاقاتي بعيدًا عن الجميع، أشعر بالرغبة في التحليق فوق كل مطبات حياتي وأعود كطائر مهاجر يخشى النظر إلى الأسفل حتى لا يختل توازنه ويجد وطنه أخيرًا في نهاية الرحلة..

ستجد نفسك مثلي؛

تتحاشي الاعتراف بشيء، افتضاح مشاعرك للعلن ووصمك عاشقًا هاربًا من حكم الإعدام بحق قلبك، أحلامك أو كوابيسك بتعبير آخر لم تكن سوى استغاثة روحك لعلها تنقذك من وهم قصة حب مبتذلة ظننت أنها

ستنسينك آلامك .. سينتهي منامك قائلًا: "يا لي من أحمق !"

سيظل كابوس حلمك يطاردك لتتحول كالمهووس حتى تعترفأن سبب آلامك من الأساس هو افتقادك إحساس الأمومة وهي تحتضنك، تشعر كالغريب، وكأن حنانها مجرد سراب..

هي وطنك وأمانك وأمنك واستقرارك، ولكنها اختارت الرحيل، لم تبالِ بما سيحدث لك ولم ترأف بحالك، أرادت فقط أن تتعلم شيئًا قبل رحيلها..

"هي لن تبقيك سوى بقايا كائن ليس بإنسان حتى، فما خفي من بواطن مصيرك فيها... ينتظرك بحميمية على حافة الهاوية".

(٥)

فتحت حقيبة يدي أرتب أشيائي المبعثرة وإذ بزجاجة عطرك القابعة أسفل الحقيبة ليتسلل عطرها إلى يدي وتسري على ملمسي لتصل إلى رئتيّ معلنة وبشدة هجوم عاصفة من الذكريات..

تلك الرائحة أعادت إليّ لهفة الاشتياق وحنين الذكريات ونشوة اللقاءات وأحاديث متوّجة بثرثرة عاشق مجنون ظننته لا يعرف من الأبجدية سوى كلمات الحب والغرام، إلا أنه في النهاية أثبت أنه متمرس في التمثيل وأن أبجديته الحقيقية لا تعرف سوى الهجر والفراق !!

تلك الكلمات لمن يمر بسن اليأس العاطفي مهما بلغ عُمره، فمع تغيير الفصول وتَقلب المواسم يمرض ذوو الحساسية المفرطة من التقلب الموسمي.. ومن الذكريات، وغير المحصنين بأمصال ضد المواجع وأشواقهم المجنونة وخيباتهم المهزومة !

تلك الكلمات لكل من يقف على أسطح ذكرياته المتهالكة وروحه المتصدعة الآيلة للسقوط ..

آن أوان الذكريات أن تحل مع حلول المناخ " الشتخريفي " .. نعم كما قرأت .. فتلك حالة المناخ العام والجو الخاص بمزاجيتنا !

المناخ المصاحب بالاكتئاب والحزن والانعزال والوحدة الكاحلة، رائحة المطر وصوت الرعد وذكريات الأماكن القديمة والألوان الرمادية والمعاطف الثقيلة وتلك الشوارع التي أصبحنا نجوبها إيابًا وذهابًا بمفردنا بعد أن هجر الونيس..

مناخ اللا وجود لمساحيق تجميل حواء واللاتي يتجملن بهالات سوداء وانتفاخ عيونهن، واللا وجود لأناقة آدم وعدم حاجته للحيته المهندمة أو شياكته المنمقة!!

"القهوة "... رفيق الذكريات الماضية والوحدة الآتية، شاهد عيان على لحظات جمعتهما سويا في البحث عن الدفء والهروب من برودة الشتاء!

" الموسيقى "... هي وسيلة السفر إلى عالم موازٍ من الأحلام الوردية والأمنيات المحققة... بعيدًا عن ضوضاء وازدحام الواقع ...

"الضحكات"... تلك النغمة التي تتعالى في الأصداء لتُعلن عن مرور غيمة الحُزن اللا وجود له بعد الآن ...

"المطر"... الدافع لذلك الحضن الذي تم سرقته خلسة دون الاكتراث لأي بلل.. أي شخص.. أو لرد فعل..

ذلك المناخ النفسي بذكرياته لا مفر منه كالمناخ الجوي، يبدو ألا حل سوى التكيف معه وانتظار رحيله كما رحل الأحبة بلا عودة..

تعلم أن تدع العاصفة تمر رغم أن الرياح قد تأتي بما لا تشتهي السفن.

(٦)

على أحد الأسِرّة الملتحفة بالبياض، في إحدى غرف مستشفى عريق بوسط البلد، تجلس هي على وهن محاولة أن تدفع قدميها لاحتمال ثقل جسدها النحيف، الذي بدأت كدماته الزرقاء في الاختفاء تدريجيا لتبدأ التماثل للشفاء.

تتحسس موضع اللاصقات الطبية التي تغطي أوردتها البارزة على سطح جلدها بعد إزالة المحاليل الملحية ذات الحقن المذابة بها لتعوّض ما فقدته من دماء في الأيام الماضية القليلة.

وضعت يدها على بطنها لتشعر بألمٍ عميقٍ في رحمها يذكرها بما حدث...

عادت ذاكرتها لتلك الليلة المشئومة، ذكرى زواجهما الأول، قامت بتحضير عشاء على ضوء الشموع منتظرة الحبيب الغالي للاحتفال سويا ولتزف إليه البشرى السارة، انتظرت حتى منتصف الليل.. يبدو أنه انشغل في عمله ولم يتذكر، دقائق وجاء الغالي ولكنه باغتها بلكمة مسرعة قبضت روحها وروح الابن الذي نبت في رحمها، نعم..

هو مدمن على التنكيل بها وتلقينها صفعات ولكمات عندما يأمره مزاجه بذلك...

وهي مدمنة على الاستسلام له لأنها تحبه، اعتاد هو على تعذيبها وارتكاب أفظع وأبشع الانتهاكات الإنسانية في حق زوجته وحبيبة عمره.. !!

دائما ما تخضع له حتى ينتهي بعد أن يرى كدمات متفرقة على جسدها إثر فعلته، لكن تلك الليلة كانت تحاول الدفاع عن نفسها، بل عن جنينها الذي بدأت ملامح الحياة تدب فيه ولكنها سرعان ما خمدت، والقاتل.. والده !

رأى نزيف الدم يتسلل منها، فصار كما المكلوم الثائر.. يبدو كأنه مصاب بحمى!

حملها مسرعًا إلى ذلك المستشفى القريب من مسكنهم بأحد شوارع وسط البلد.

وبين الوعي واللا وعي.. كانت تتذكر الشوارع والأماكن والروائح في كل شبر من وسط البلد، لطالما عشقت تلك الشوارع حد الإدمان، شهدت وسط البلد مراهقتها وشبابها، صمودها وقوتها وضعفها، ثورتها على النظام والاستبداد، بداية قصة الحب وتداعيات إدمان الحبيب على الضرب، والآن تشهد على اللحظات الأولى والأخيرة على جنين لم يكتب له الحياة، وصعود روحه إلى خالقه..

ها هي الآن وحيدة في تلك الغرفة، تحاول التعافي من حالات الإدمان التي ملأت حياتها وأودت بحياة صغيرها..

إدمانها على حب زوجها والاستسلام له، إدمان زوجها على التنكيل بها قولا وفعلا، إدمانها شوارع وسط البلد، إدمان المجتمع على الهمز واللمز

بعد أن فقدت جنينها، إدمان سيدات العائلة على التشهير بكل من تفقد طفلها كأنها وصمة عار ويبدو أن دورها آت، تشعر أنها ستحيا طريدة محتقرة منبوذة من الجميع، تتلمس العفو والغفران على إدمانها وإدمان حبيبها والذي راح ضحيته نبتة الحب المشؤوم !

لكنها ظلت تردد محاولة إيجاد قوة لتقاوم إدمانها على الخضوع:
" الأرض دائما حبلى بالبذور، والبطش لا يروق أبدًا نموها"

(٧)

أشهر مرّت كسنوات...

التقا في نفس المكان الذي جمعهما سويا منذ أول لقاء، ملاذهما الخاص بعيدًا عن ضوضاء الواقع وقسوة القدر الذي حكم عليهما بالفراق وحرمهما لذة القرب..

لقاء تراه من بعيد هادئًا، لكن إذا اقتربت تشعر بحرارة الشوق وشرارات الحب تتطاير..

حاولت هي مرارًا أن تنطق بكلمة إلا أن شفتيها تأبى الحديث، كأنها تعاقبه على هجره لها..

أما هو فعيناه تنطق اشتياقا لصوتها.. لهمساتها الناعمة تذيبه بينما تداعبه أناملها.. للمساتها الرقيقة تطبع قبلات خفيفة بجانب عنقه يضيع أمامها عنفوانه.

يبدو أن تذكره أشعل نيرانه حتى لاحظت هي تبدل نظرة عينيه وازدياد سرعة تنفسه وهبوط صدره الذي طالما أثار رغبتها به..

حاولت أن تسأله عن أحواله، لكن بمجرد أن حاولت الحديثأفاقت من شرودها لتجد نفسها في ذات المكان المعتاد... تتحس شفتيها، وعيناها تجول في المكان بحثا عنه، عن رائحته، عن طيفه مارا جوارها تشعر بدفئه...

طافت في أركان المكان وبالصدفة وجدت قميصه المفضل، احتضنته واشتمته لعل رئتيها تتنفس رائحته فتهدأ!

قشعريرة غريبة دبت ببطء في جسدها المرتجف حين جالت ذكرياتها بعيدا، تسللت آهات مكتومة عندما اصطدمت بذكرى يوم مخيب للآمال ومحطم لقلبها الذي طالما حمل كل الحب له، يوم أنهى حياتها ليبدأ هو حريته كما أخبرها،ودون مقدمات بعد أن طبع قبلة أخيرة شعرت بأنه امتص روحها بها واحتجزها داخله.. رحل!

فترة مرت دون أن تشعر كم طالت أو قصرت، فعقارب الساعة فقدت طريقها بعد رحيله لتتركها تتخبط بين وهم عودته، وواقع غيابه اللامنتهي.

شعرت بغصة تخنقها وتكتم أنفاسها حتى كادت أن يغشي عليها، تركت قميصه وألقت نظرة أخيرة ورحلت..

لم تكن تدري أن اللحظات القادمة تحمل مفاجأة جديدة بتوقيعه، لحظات تفصلها بين هبوطها درجات المبنى وخروجها وبين لقاء جمعهما !!

توقفت كأن طلقة جليدية أصابتها، توقفت عقارب الساعة، امتنعت حواسها عن إبداء أي رد فعل..

نظرة عينيه اخترقتها، شعرت بأن روحها تعود إليها من جديد..

أما عنه فيبدو أن رحيله لم يحمل له سوى خيبات وخذلان أربك خططه بعيدا عنها!

فقد رونقه وذبل زهوه، حاول رسم كبرياء يغطي حممه البركانية التي اشتعلت داخله بمجرد رؤيتها، ارتبك ومسح ذرات العرق التي تكوّنت على جبينه كزخات المطر...

حاول أن يجد كلمات يخبرها بأنه افتقدها وأن الفراق كان خطأ فادحًا، سيعوضها عنه بشرط أن يعود لها من جديد..

وجد إشارة تستوقف حديثه قبل أن يبدأ ونظرة أصابته بالخرس، وجد كلماتها تنطلق كقذيفة وحيدة في خزنة مسدس لا يعلم من ضحيته الأخيرة..

"لقد اخترت الرحيل، لم تبالِ بما سيحدث لي ولم ترأف بحالي، أريدك فقط أن تعلم شيئا قبل رحيلي...

عندما تغدر بامرأة ذكية أحبتك يوما، لا تنس أن ترتدي رداءً واقيًا، فنزعتها الأنثوية للانتقام لن تبقي عليك رجلا... لن تبقيك سوى بقايا كائن ليس بإنسان حتى، فما خفي من قدر كان ينتظرك بحميمية على حافة الهاوية لهو أعظم".

(٨)

الجزء الأول

أخيرا تسلمت مفتاح مسكني الجديد بعد رحيل مستأجرها، تجولت بالأركان أتفحص ملامح مكان سوف يشهد على تفاصيل حياتي القادمة..

المميز في المكان؛ هي تلك الشرفة ذات نسمات الهواء العليل والتي ستصبح رفيقة وحدتي الأيام القادمة..

ذهبت إلى غرفة نومي لوضع أغراضي والبدء في ترتيب المكان كما ترسمه مخيلتي..

بينما أفرغ ما تحمله حقائبي، وجدت في أحد الأدراج عدة رسائل غلافها ممزق يبدو أنها ملك المستأجر الأخير ونسي وجودها ورحل..

شعرت بالفضول لمعرفة ما بالرسائل لكن لكل منّا الحق في خصوصيته الشخصية، الحقيقة أن المسكن صار لي، إذا منطقيا أن أطلع على الرسائل بما أني وجدتها.. لم أكن أدري أن الفضول سينتهي بخيبة وكسرة روح !

تركت مابيدي وحملت الرسائل إلى الشرفة، بدأت في فض الأغلفة وقراءة جوابات تبينت بعد ذلك أنها تحمل بصمة نسائية محملة بدموع أفسدت أعين كحيلة.. ساهرة ليالي طويلة.. وحيدة تعاني من هجر الحبيب !

الرسالة الأولى : "ألم نجد حلًّا آخر سوى الفراق!! ألا يستحق حبنا أن نقاتل قليلًا من أجله ونصمد أمام إرادة الجميع بتفريق قلبينا !"

الرسالة الثانية : "عيناي لم تكف عن البكاء، لا أدري تبكي رحيلك أم ترثي رحيل قلبي معك ! "

الرسالة الثالثة : " لقد اشتقت إليك.. عُد"

الرسالة الرابعة : "ألم يحن موعد اللقاء بعد.. ألم يتعب قلبك من الهجر!! ".

الرسالة الخامسة : " لقد رأيتك في منامي تلك الليلة.. لا أدري كان حلمًاأم كابوسًا!

رأيتك تبكي كطفل ضائع في زحام، أو فقد لعبته المفضلة أو.. تركه والداه وحيدًا ورحلا، لقد أدميت قلبي ببكائك.. لا أزال أسمعه في أذنيّ، أرجو أن يصلني ردك أو تأتي في منامي تخبرني أنك بخير.."

الرسالة السادسة : " ألا تفتقدني؟!".

يبدو أن هناك قصة عشق لم يكتمل، قصة تم صدور الحكم بإعدامها دون أسباب واضحة، لكن هناك قلب مازال متمسكا والقلب الآخر استسلم للقدر..!

تابعت قراءة الرسائل بشغف يغلفه حزن وألم لحال تلك الفتاة التي تفقد جزءًا من روحها مع كل رسالة !!

توالت استغاثات روح تدمي من الفراق في عدة رسائل حتى وصلت للرسالة العشرين..

الرسالة العشرون: " أنا متعبة.. وحيدة.. تائهة!"

الرسالة الحادية والعشرون: " صارت دموعي أقل.. عيوني بدأت تجف إلا أن روحي مازالت تبكيك آبارها لن تندب أبدا !"

الرسالة الثانية والعشرون : " قل نحيبي على فراقنا، وصار بكائي على فترات متباعدة.. لكنه لم يكن حنينًا بقدر ما سببه نزعة نسائية داخلي تقاتل من أجل الإبقاء قليلا على أنوثتي".

الرسالة الثالثة والعشرون: "تواصلت مع الله بلغة صامتة؛ فالله دائما جابر الخواطر يصغي لصرخاتنا وآلامنا وأحلامنا ودعواتنا.. ربنا يؤجلها لكنه لا ينساها. "

الرسالة الرابعة والعشرون :"حدسي يخبرني أنك بخير.. أن حياتك بدأت من جديد".

الرسالة الخامسة والعشرون :"رأيتك في منامي الليلة، لم يكن سوى حلم مزعج.. رأيتك في أحضان فتاة أخرى !

يا ليتك تخبرني أنك لم تخن ذكرى عشقي لك وأن قلبك ما زال طاهرًا بحبي، أرجو أن يكون مجرد هلاوس نابعةً من غيرة قلبي عليك.. "

الرسالة السادسة والعشرون : أنا متعبة.. أفتقدك !"

حسنا..

أنا أيضا متعب، سأتوقف الآن وأنال قسطا من الراحة؛ فيومي كان مرهقا واختتمته بتلك الرسائل، ويبدو أن غدا لن يكون أقل إرهاقا عن اليوم.. على الأقل نفسيا !

الجزء الثاني

استيقظت على مداعبة أشعة الشمس لعيني.. أشعر أن أمس كان حلما طويلا، منذ أن وضعت قدمي بالمسكن الجديد حتى استيقاظي الآن.. ااه أحتاج إلى فنجان قهوة لأستعيد نشاطي الذهني وأرتب أموري..

تلك الرسائل هي الدليل القاطع على أن ليلة أمس لم تكن حلمًا على الإطلاق..

ذلك الألم المصاحب للشفقة عليها والسخط عليه بدأ يغمرني من جديد، حسنا سأكمل القراءة لعلي أجد نهاية القصة أو علاجًا لألمي..

الرسالة السابعة والعشرون : "عليّ أن أستعيد توازني وأن تعود حياتي إلى ما كانت عليه.. ولكن كيف ذلك وأنت حياتي !"

الرسالة الثامنة والعشرون : "لقد تكرر ذلك الحلم البغيض.. نفس الفتاة وأنت في أحضانها".

الرسالة التاسعة والعشرون: "عليَّ أن أتوقف عن كتابة تلك الرسائل.. يبدو أنك تناسيت وجودي أو نسيت فعلا."

الرسالة الثلاثون : "جبروت أنوثتي وكرامة كبريائي يطالباني بالتوقف عن النحيب وبكاء رحيلك، يطالباني بالتوقف عن العيش بدور ضحية،

يطالباني ببدء حياة جديدة تكون أنت فيها مجرد ذكرى.. ولكن كيف؟!! أخبرني.

عدة رسائل بعدها كانت محملة ببقايا صمود وعزة نفس، أسطر تحاول فيها لملمة أذيال خيبتها من عدم مجيبه على رسائلها، كلمات تقاوم غيرة امرأة لا تعرف أراضي حبيبها ولا تملك سطوة على إرهاب أي مؤنث يمس الحبيب، أحرف تنزف ألما ورثاء وكبرياء..

تركت الرسائل على منضدة شرفتي، وقفت أتنفس من الهواء العليل ما يزيح نتيجة فضولي وفتكه لهدوء قلبي ونقاء ذهني.. ظلت كلماتها تتسارع في مخيلتي وترسم ألف قصة وحوار لعدم رد الحبيب على رسائل محبوبته، لولا فض أغلفة الرسائل وآثار ثنايا كثيرة أهلكت ورق الرسائل تدل قراءتها مرارا وتكرارا؛ كنت استنتجت أنه لم يقرأها قط..

اااه كم هي مسكينة وكم هو أحمق وكم سخيف قدر حكم بالفراق !!

بقيت رسالتان.. إحداهما ما زالت مغلقة، قد يكون لم يسعفه الوقت لقراءتها أو أنها جاءت بعد رحيله ولكن كيف وجدت طريقها إلى رفيقاتها !!

حسنا سأبدأ بتلك المقروءة مسبقا، الرسالة ماقبل الأخيرة :

"هذه رسالتي الأخيرة..

يبدو أني استعدت رشدي أخيرا.. أو فقدت صوابي نهائيا؛ في كلتا الحالتين لقد قررت نسيانك، ألم أنوثتي المجروحة والتي سفكت دماءها هدرًا برحيلك وهجرك اللا مبرر صار أعظم من رثائي فقدانك..

لقد قررت تخليد ذكراك داخلي ودفن عشقي لك بجوار جثة قلبي الهامدة في أعماق روحي..

سأترك روحك تغادرني لعلها تصل لك يوما أو ترشدني إليك..

كيفك يا وجعي؟! أتمنى أن تكون حياتك بدوني على مايرام، اشتقت لك واشتقت لنفسي التي كانت معك.. نفسي التي صارت أقوى وأقسى مما كنت أتخيل.. نفسي التي تحملت كثيرًا نتيجة رحيلك وتحملت أكثر وهي تُشفى منك.. لعلي أتاكد يوما أنها تماثلت للشفاء بالفعل وألا تكون خدعة أتقنتها من ضمن طاقات كثيرة لم أعِ أنها داخلي إلا مؤخرا..

سأتوقف عن مكاتبتك.. سأتوقف عن إرسال رسائلي لك.. سأتوقف عن إزعاجك.. سأتوقف عن... حبك..

تلك رسالتي الأخيرة ولا شيء باقٍ غير.. الوداع! "

شهقت من قوة وقسوة تلك الكلمات التي أشعر أنها تمزق روحي.. يبدو أنها وصلت لذروة الألم أو أفاقت من الوهم..

ولكن إذا كانت تلك رسالتها الأخيرة.. فلمن تلك الرسالة المغلقة؟!

الجزء الثالث

أشعر بهَم وحمل يثقل كاهلي نحو تلك الرسالة الأخيرة المغلقة.. يبدو أن الهروب من قراءتها أصبح كهروب افتراضي لا وجود له..

إلهي أعنِّي على إنهاء تلك الرسالة ووضع حد لمعاناتي ونهاية القصة ..

الرسالة الأخيرة :

" بعد قراءتي رسائلك.. صيغ كثيرة تتراقص أمامي لسَطر كلماتي، ترددت كثيرا قبل أن أمتطي قلمي لأخط كلمات عارية من القوة، محملة بنزاعاتي وحماقاتي وإخفاقاتي بعيدًا عنكِ، أشعر بالرغبة في التحليق فوق كل مطبات حياتي وأعود إليكِ كطائر مهاجر يخشى النظر إلى الأسفل حتى لا يختل توازنه ويجد وطنه أخيرا في نهاية الرحلة..

كنت أتحاشى الرد على رسائلك طوال تلك الفترة، أتحاشى الاعتراف بعشقي، انفضاح مشاعري للعلن ووصمي عاشق هارب من حكم الإعدام بحق قلبي، أحلامك أو كوابيسك بتعبير آخر لم تكن سوى استغاثة روحي بكِ لعلها تنقذني من وهم قصة حب مبتذلة ظننت أنها ستنسيني إياكِ.. يا لي من أحمق !

أعيد قراءة رسالاتك ألف مرة في المرة، أبحث عن صورتك لعلي أراها في ثنايا الورق أو بين أسطر الكلمات..

لعلي أسمع صوتك يناديني كما عهدته، لعليأتحسس أناملك تسري على وجنتي تهدئ من روعي وقلقي وتعيد لي ذكرى منسية بين تخبطات

عقلي بين واقع أليم ووهم مُر بدونك !

حياتي صارت عبثًا بعد رحيلي عنك، رغم أن بعدي عنك لم يكن قراري إلا أنني قررت الاستسلام والمضي قدما بعيدا عنكِ..

لقد قرأت رسالاتك وهذا ردي الأول والأخير..

لقد قررت بعد تفكير مطول أنني سأعود لأصحح مسار علاقتنا، لأعيد الحياة من جديد لقلبينا، أن أنهي وهمي المُر وأعيد عقلي إلى صوابه.. إليكِ !

كنتِ تأتين في منامي بحماقة طفلة - لطالما أحببتها - ترتدي ثوب أنثى أشبه بآلِهةإغريقية من أساطير الزمان، تصيب قلبي بلعنة الحب الأبدي وأستيقظ لأجد الزمان توقف وطيف روحك يحوم حولي يتحدى حركة دوران الأرض فيتبدل مكاني وأجدني في قارة أخرى بعيدا عنكِ ويعود الزمن للحركة إلا أنني لم أعد يومًا، فقد بقي قلبي وعقلي معك !

كنت عندما يراودني ذلك الحلم أترك منزلي وأهبط إلى الشوارع أهيم على وجهي كتائه فقد طريقه ويبحث عن ضالته..

مشاعر مختلجة ومختلطة تعصف بي، مشاهد تهاجم ذاكرتي تخل من توازني، ودقات قلب فقد كبرياءه منذ أن وقع في عشقكِ..

تكاتبيني وتعاتبيني بأنني لم أفتقدك.. بل والله أفتقد الحياة فأنتِ حياتي، لا محيا لي دونك ولا مرسى لي سوى أحضانك..

لا يزال الصمت يسجنني داخل غرفة لا يعتري أركانها سوى السكون والهروب من قرار ضرب بمخططات حياتي معكِ عرض الحائط..

رسالتي تلك ستكون الأولى والأخيرة..

بعد فقداني توازني وبالي وتفكير طال كثيرا فيكِ يا شمس حياتي وخلطتي السحرية التي تضفي الحيوية والحياة لروحي، سأعود..

ستصلك تلك الرسالة أثناء رحلة عودتي إلى الوطن.. إليكِ يا وطني، لا مزيد من الهروب.

أنا عائد لإعلان اشتياقي إليكِ، لإخبارك بأنني متعب أكثر منكِ وأنني دونك تائه ضائع لا محال !

أنا عائد يا حبيبتي.. "

****

شعرت بالدموع تترقرق في عيني، مشاعر مختلطة بين فرح وحزن وألم واشتياق..

لطالما آمنت أن العشق الحقيقي مازال له وجود رغم كل قيود الزمن وتغيرات القلوب إلا أن العشق باقٍ..

ولكن لحظة..!!

إذا كانت الرسالة الأخيرة له يخبرها بعودته، لما ظلت الرسالة مع رسائلها؟!

لما لم يرسلها.. هل تراجع في اللحظة الأخيرة وفضّل الإبقاء على صمته وهروبه؟، ماذا حدث ليمنعه من إرساله تلك الرسالة؟!

انتشلني جرس الباب من تساؤلاتي التي تسارعت إلى ذهني فجأة مطالبة بإجابات!

فتحت الباب لأجد ساعي البريد يسألني عن إذا كنت من أقارب أستاذ "هو" !!

أخبرته أنه المستأجر السابق ورحل قبلي، سألني إن كنت أعرف طريقًا لعائلته أو أحد أصدقائه، وعندما سألته: لماذا؟ أخبرني أنه قد توفي في حادث سير أثناء خروجه من إحدى وكالات السفريات وتلك أشياؤه التي كانت معه..

قررت أن أتحمل المسؤولية ومضيتُ تعهدا باستلامي متعلقاته الشخصية، رحل ساعي البريد وتركني في متاهة من اللا فهم، أشعر أن العالم يدور من حولي، آه يا إلهي أحتاج إلى استنشاق الهواء..

خرجت إلى الشرفة محملقا بمتعلقاته بين يدي وبرسائلها على المنضدة..

يا ألله ما سر تلك العلاقة حتى يجتمع الكون كله ضدها، كم جاهدَا لإنقاذ عشقٍ نبت بين قلبيهما إلا أن القدر حاربهما حتى انتصر في النهاية..

كم هي مسكينة تظن أن حبيب عمرها تناسى عشقهما!

عليّ محاولة إنقاذ ذلك العشق محاولة أخيرة،

يجب أن تصل الرسالة إليها..

تفقدت متعلقاته، وجدت تذكرة سفر ذهاب إلى الوطن بلا عودة وخاتم زواج..

شقهت في صدمة، جعلت ما في يدي يرتطم أرضا.. كان سيعرض عليها الزواج مجددا!

يا إلهي أشعر أن العالم أطبق على قلبي، أشعر أن أكسجين الكون لا يكفي لأتنفس.. أشعر بالاختناق !

حسنا لقد قررت.. سأبعث لها برسالة أخيرة كما أراد هو محملة بكل الحقيقة ولا شيء سواها !

الرسالة الأخيرة الثانية :

" إلى من شبهها (هو) بإلهةإغريقية ساحرة..

لقد وجدت رسالاتك في منزلي الجديد والذي كان يستأجره هو قبل رحيله.. أتخيل شكل الصدمة وعدم الفهم المرسومين على ملامحك في أثناء قراءتك رسالتك.

لقد رحل هو.. رحل إلى عالم آخر أتمنى أن يكون أكثر إنصافا ويدع قصة عشقكما تتم إلى النهاية أو.. مالا نهاية !

رحل هو أثناء عودته إلى وطنه، أثناء عودته إليكِ..

مع رسالتي ستجدين رسالاتك؛ واعذري تطفلي لقراءتها، ستجدين أيضًا آخر متعلقاته التي وُجِدَت معه قبل تركه دُنيانا..

خالص تعازيّ الحارة.

*ملحوظة:

"لم أعهد قصة عشق كقصتكما... وأظن أني لن أعهدها أبدا"

الجزء الأخير

المكان هادئ، الصمت يعم المكان، والوحدة تأكل الجدران !

روتين وملل ينهش حياتي، ظننت في بداية معيشي هنا وبعدما وجدت الرسائل أن الإثارة ستدب في حياتي أخيرا ولكن..

بمجرد إرسالي الرسالة الأخيرة لها؛ عادت حياتي إلى اللا شيء!

اااه ما أصعب الوحدة حين تطُول، وما أقسى الونيس الغائب..

ذهبت إلى شرفتي المعهودة، الشاهدة على رسائلها وتقلبات مشاعري مع كل رسالة وصدمتي بخبر وفاته و.. خطابي الأخير.

كم أتمنى أن أتلقى خطابًا أخيرًا منها تخبرني كيف حالها بعد تلقيها رسالتي متضمنة رسالته.. لقد مرت أشهر الآن، كم أفتقد صخب مشاعري الفوضوية التي أثارتها حكايتهم.. يا ليـ..

* جرس الباب*

إنه ساعي البريد يحمل خطابا لي!! كعادتي سكنت كرسيَّ المطل على منظر رائع يجمع أطراف المدينة مع السماء.. تفحصت الخطاب.. ااه ذلك العنوان أعرفه..

* شهقة وسقط فكه للأسفل من الصدمة والمفاجأة...إنه عنوانها*

فضضتُ غلاف الرسالة مسرعًا تقودني اللهفة لقراءتها...

"إليك أيها الغريب أكتب رسالتي الأولى...

لقد مرت أشهر عدة مذ تلقيتُ رسالتك، فاجأني فحواها وتفاجأت برسالته... لم أستوعب خبر موته فالصدمة بلغت أشدها حتى أصابتني بانهيار سكنت على أثره فراش إحدى أحد المستشفيات... فقدت رغبتي في التحدث ولكن دموعي كانت تنطق بالكثير، رسالتكما لم تفارقني منذ أن استلمتها حتى أخذوها مني ظنًّاأنه الحل... لكن أحدًا لم يدرِ أني حفظتها عن ظهر قلب، حروفها توشمت قلبيوكلماتها شقت قلبي!

اااه لقد فقدت الحبيب الغالي، فقدت عمري وحياتي ولياليَّ الطوال !!

أعلم أنك قرأت رسالاتي لذا تدري جيدا أني كنت على وشك تناسيه والبدء بحياة جديدة كما أراد هو.. وحين قرأت رسالتك ورسالته وكأن العالم انشق من حولي.. صرت مغيبة عن الواقع وتائهة عن الأحلام..

كأنني سقطت في ثقب زمني أسود أتخبط بين ثناياه بلا وجهة، كأنني سافرت في رحلة بلا ذهاب أو عودة.. سافرت إلى اللا شيء سوى الألم !

شعرت بألم غريب يسحق خلايا جسدي، يمزقني أشلاءً أشلاءً.. يمتص دمي ببطء حتى أكاد أشعر أن عروقي تجمدت وقلبي توقف عن ضخ الدماء، شعرت أن جسدي يأبى رحيله فيعاقبني بالموت على قيد الحياة !!

ظللت في تلك الحالة فترة حتى استوعبت فكرة رحيله المؤكد، أدري أنه رحل عني مذ زمن لكنه على قيد الحياة، أما الآن رحل روحًا وجسدًا وتركني وحيدة،أنيسي رسالة حملت مشاعره وخاتم زفاف لن يشهد فرح أبدا !

بعد تركي المشفى، قررت أن أعيش وحدي وبعد اعتراض كبير من الجميع يقابله عِندي نفذتُ قراري..

كانت ليلتي الأولى صعبة، شعرت أن الجدران والأثاث وجسدي كل منهم يبكي رثاء رحيله، يأبى تقبل موته.. بدأ الألم يقتحم خلاياي من جديد إلا أن المواجهة كانت عنيفة، وكأن حربًا عالمية بدأت داخلي وكل جانب يقاتل بأعنف أسلحته !

استسلمت للألم حتى استسلم جفني للنوم، كان منامي لا يقل قسوة عن ألمي.. لقد رأيته.. كان يعاتبني على عذاب قلبي وسواد عيني الكاحل الذي فقد بريقه من البكاء؛ كسماء غابت نجومها في غيوم الليل..

استيقظت وداخلي طاقة غريبة لا أدري حتى الآن ما سببها، مشاعر مختلجة ومختلطة تعصف بي، حزن وغضب واشتياق وحب وكره وقسوة.. مشاعر كثيرة تصارع بعضها والضحية.. أنا!!

ولكني لم ولن أعترف بهزيمتي أو فقداني الغالي.. تحولت من ملاكه وإلهته الإغريقية إلى فتاة لا تشبهني سوى في ملامح أخفتها مساحيق التجميل لتصبغها بقليل من الحيوية والأنوثة !

ها أنا الآن أكتب إليك رسالتي لتستقبلها مع نهاية عام وبداية عام آخر.. أعترف لك فيها بأني فقدت نفسي برحيله..

رحل جسده وبقيت روحه تحرسني، تركها تواسيني كل ليلة ولا تتركني أغفي دون احتضاني حتى أستنشق عبق رائحته فأذهب في سبات عميق، بعد قرار رحيله الأول فكر أن الكره سيجد طريقه لقلبي لكنه لم يدرِأن عِشقه زاد حتى بلغ مبلغه مني وفاض..

رسالته الأولى والأخيرة تتردد في أذني كل ليلة أختلي فيها بنفسي، أذهب لأرقد في حوض مليء بالماء الساخن، يغتسل فيه جسدي كما تغتسل روحي لتعود طاهرة، أزيل تلوثها من نظرات الرجال وهمساتهم وغمزاتهم التي ترافقني كل يوم أهوى فيه خارج منزلي وحتى أعود إليه، نظرات تشعرك بأنك عاهر لا محل لك للطهارة وإن كنت راهبًا، وودت لو أصرخ بهم أنهرهم عن نظراتهم وأخبرهم أن الغالي رحل.. فقدت الحبيب وفقدت معه روحي.. رحيله الأول تركني عاشقة حد النخاع ورحيله النهائي حولني كافرة بالعشق حد الإلحاد..

أختم رسالتي هذه ومعها أختم عامي الذي قد يكون الأخير..

لقد زاد عمري في عام بطريقة مخيفة رغم ثبات سنواته، قللت عدد أصدقائي حتى أكاد ألا أملك أحدًا، أواجه حزني بكل برود يوميا، أبدو قوية وداخلي هش أكثر مما أظن..

أتجاهل نظراتهم ولمزاتهم وكأني لا أرى، رغم أني أرى الأشياء بوضوح ولكني أفضل الصمت..

أكتب إليك لأنك الوحيد الذي لن تصدر حكم الإعدام بحق قصة عشق عاندها القدر وأنهاها الموت.

عزيزي الغريب..

عام جديد والحبيب بعيد والألم لا يعرف إليكَ طريق ولك العمر المديد "

****

يا إلهي.. أي رسالة تلك!!

كم الألم والقوة والكَسرة والـ..

أي ألم ذاك الذي لا يعرف لي طريقًا بعد رسالتك تلك !

كم أتمنى الآن أن يعود الصمت والسكون ليحل المكان بعد أن فاضت الجدران دموعًا وغرق قلبي في حزن مرير لا نهاية له..

عام جديد وحزن ليس عن قلبي بعيد وقصة لن تموت وأنهاها الموت !.

(٩)

بِتُّ أتساءل كثيرًا عن هويتي؟ ماهية ذاتي؟ عني أنا من أكون؟!

لطالما كانت شخصية واضحة المعالم، محددة الاتجاه المعاكس لكل ماهو تقليدي روتيني ممل، لا تعرف الرتابة أو التكرار، تحيد دائمًا عن ذلك التابوه الشرقي المتداول بين فتيات هذا العصر..

أفخر دائمًا بالثناء على تلك الشخصية التي تنال عمرًا أكبر من عمرها في التخمين، وإعجابًا أكثر عند معرفة العمر الحقيقي لها.

ولكن كل هذا لم يعد له أهمية بعدما جاء هو، وجوده في الحياة بمثابة اكتمال الصورة، كقطعة البازل الأخيرة؛ نقصانها لا يقلل من وضوح الصورة، لكن وجودها يجعل الصورة مكتملة لا تشوبها شائبة..!

كذلك أنا في حياته؛ بمثابة قطعة البازل الأخيرة التي تضيف جمالًا وكمالًا للشكل النهائي، لكن يبدو أن التعود على معرفة مكان كل قطعة؛ خاصة الأخيرة صار سببًا في عدم إكمال تجميع أجزاء الصورة حتى النهاية، فبتكرار الشكل النهائي بات واضحًا، والقطعة الأخيرة صارت معروفة، ولهذا فقدت ماهيتها.. كما فقدت أنا ذاتي في دوامة حبه..

فرغم أهميته وعظمته كالقطعة الأخيرة التي لا غنى عنها، صارت أهميتي مشكوكًا بأمرها، مؤقتة الكمال،مضمونًا وجودها رغم تناسيه تمامًا كقطعته الأخيرة في "البازل"!

(١٠)

حل الشتاء فجأة بعد أيام سطعت شمسها مطولًا؛ لا تفارقنا سوى للغروب والعودة من جديد بعد ساعات قليلة..

وكمجيء الشتاء.. حل الألم والظلام في حياتي بعد أن كانت ساطعة، مشرقة بالحب والوله والعشق اللا محدود..

ولكن كيف يستمر هذا؟ !!

فكما يوجد كارهو الشتاء، لا يجدون المتعة في نسمة هواء باردة تتخلل روحهم، أو يشعرون بالمطر ينقي دواخلهم، هناك كارهون لقصص الحب خاصة وإن كانت من ذلك النوع الغريب الساحر المستحيل والذي غالبًا لا نجده سوى في الروايات..!

تلك القصص التي يشبهون فيها الأنثى بالعشيقة العاهرة، التي تستسلم تحت نشوة الحب، تعاند الجميع من أجله هو، تتنازل عن كل ما تملك وتختار ما يؤمن به قلبها، يراها الجميع "ساقطة" ضحت بكرامتها وشرفها وإنسانيتها من أجل رجلٍ اشتراها بالمال لإشباع رغباته، وضمها لقائمة نزواته، وأنها أبدًا لن تكون زوجة له، وبالطبع لا لغيره، فمن يرضى ببقايا امرأة ذاق رجل أنوثتها حتى اكتفى وملَّ منها فرحل؟!!

وفي قصتي:

ذلك الرجل نال حظه من الإهانة والسباب، بالتأكيد ليس كنصيبي، فأنا دائما أنال حظ الأسد من الإهانة اللفظية والجسدية، سواء لعصياني أوامرهم، أو لحبي العنيد، أو لدفاعي المستميت عنه الذي سيستمر حتى أموت أنا..

أتغاضى دائمًا عن إهانتي التي تتنوع مابين العاهرة، والساقطة، والعشيقة، امرأة بلا شرف، بقايا أنثى لن يرضى بها أشباه الرجال حتى، فتاة ليل برجلٍ واحد.. وغيرهم الكثير في نفس سياق الإهانة.

لكني أثور حينما يلفظه أحدهم بكلام جارح وإن كان حتى بطريقة غير مباشرة، فكيف أسمح بإهانة الرجل الوحيد الذي عشقه قلبي وذابت فيه روحي، وأحبني بكل صدق؟

ذلك الرجل الذي تعود روحي داخل جسدي برؤيته، والتى تلمع عيناي معلنة عشقي له، والذي حين أسير بجانبه؛ تكاد رأسي تعانق عنان السماء لفخري به، من عوضني غياب الأخ والصديق والقريب، أعاد ثقتي بنفسي وبقدراتي، رجُلي الوحيد الذي يرى جمالي في أكحل حالاتي وأكثرها إرهاقًا وبؤسًا، حين تقسو الدنيا عليّأرتمي بين أحضانه؛ فيمحو بحنان أبٍ ما جناه الزمن على قلبي ليعود نقيًّا كما الأطفال..

أي رجلٍ هذا الذي لا يستحق تضحيتي وتنازلاتي، حتى وإن كانت مكانتي هي العشيقة وفقط، فإحساسي بالأمان معه لا يستحق مني سوى الحب.

(١١)

إلى نفسي العزيزة جدا..

كيف حالك؟!

أعلم أنكِ تعاني، فحالة الحرب معلنة في الداخل والخارج، والسياج تحيط الحدود تمنع اقتراب العدو والمحتل..

ولكن كيف والاحتلال يكمن في الذات!!

يقيني الثابت والأكيد - في وجهة نظري الخاصة - أن الثورة تبدأ من الداخل، تبدأ من النفس..

قد يكون هناك عصيان داخلي، وأيضا هناك حاجة إلى ثورة ضد الظلم والفساد الخارجي..

كنت أظن ألا متعة بعد ثورة النفس ولكن ثورة الأوطان أعظم..

أن تثور لوطنك واستقراره والحق في الحياة.. أبقَى.

شهدت الميادين مسيراتك، صدى صوتك بين جدران المنازل والبيوت تخلل ثناياهم وحثهم على الانتفاضة..

كانت رسالتك في الحياة النضال من أجل القضية، لا قضية نفس بل قضية وطن.. وطن أنكر وجودك ورفض الاعتراف بأبوته وإعلانك من دمه حتى لا تمتلكِ أي حقوق شرعية ..

كانت الخطة واضحة والطريق مرسوم، لكنك يا نفسي تم مقاطعة دربك..

إنسان في هيئة مناضل، لكنه مجرد من الإنسانية والرجولة والنضال، جاء من اللا مكان دون داعٍ سوى هدف واحد يراه هو القضية، أن يحتل ذاتك، يغتصب كيانك، تحت اسم الثورة من أجل الحب، النضال من أجل تدمير جدران الخوف وأسوار الكبت والقمع التي تمنع دخول شعاع الحياة إلى الداخل..

عقلي يأبى الاستسلام وقلبه يهتف: "يسقط يسقط حكم المنطق، اذهب لها وبِ حُبَّك انطق"..

أعلم يا نفسي أنكِ ضعيفة وحيدة والحرب قادمة، أصطنع النضال وأطالب بتصعيد وتيرة الثورة لكنك اكتشفتِ الحقيقة قبل الاستسلام بقليل..

دعوات لاجتماع عاجل واشتباكات ومداهمات مفاجئة ولكن دون جدوى..

فهو لا يريد سوى الإيقاع بكِ، يحاول تمديد العلاقات الثنائية وتنفيذ مبادرات سلام مزيف..

لا تصدقي.. لا تنهاري.. لا تستسلمي !

الانتفاضة تكون للذات والثورة من أجل الوطن لا من أجله ولا لنضال كاذب.

الختام

قد يكون ذلك ختامًا لرسائل وجدت نفسك بين أسطرها، أو تشابهت مشاعرك مع بعض كلماتها.. لكنه ليس ختامًا لرحلة حياة ووجع روح ورسائل تمتلئ بها القلوب.